# بسم الله الرحمن الرحيم
# الإيمان بالكتب السماوية

## أ - تعريف الكتب لغة :

الكتب جمع كتاب ومعناه فى اللغة مصدر كتب يكتب كتباً، وأصل الكتاب كتب[١] كتباً من باب قتل وضرب ومصدرها كتابة لأنها تدل على صناعة مثل نجارة وعطاره ، وكتبت السقاء كتباً خرزته وتطلق الكتابة على المكتوب وهو مايكتبه الشخص ويرسله وكتب بمعنى حكم وقضى ومنه كتب عليكم الصيام" .

وتطلق الكتابة على مكاتبة الرجل عبده على مال ليعتقه . وقال الأزهرى : الكتاب والمكاتبة أن يكاتب الرجل عبده أو أمته على مال منجم، ويكتب العبد عليه أن يعتق إذا أدى النجوم . فالعبد مكاتب بالفتح اسم مفعول وبالكسر اسم فاعل لأنه كاتب سيده فالفعل منهما والأصل فى باب المفاعلة أن يكون من اثنين فصاعداً يفعل أحدهما بصاحبه مايفعل هو به وحينئذ فكل واحد فاعل ومفعول من حيث المعنى وكتبته بالتشديد علمته الكتابة. ومن هنا نقول أصل الكتاب ضم الجلد بعض إلى بعض وجمعها بتحويلها إلى كلمات ثم إلى سطور وصفحات ومن الصفحات يتكون الكتاب .

## ب - تعريف الكتب اصطلاحاً :

ومعناه فى الاصطلاح الشرعى ماأوصى الله به إلى رسله من كلامه ليبلغوه للناس . ويطلق اسم الكتاب شرعاً كذلك على مايشمل

---

(١) المصباح المنير حـ٢ صـ٥٢٤ - ٥٢٥ .

الصحف والألواح وجميع أنواع الوحى اللفظى أو الكتابى التى ينزلها الله على أى واحد من رسله ليبلغها إلى الناس بأية لغة من اللغات نزلت مدونة أو غير مدونة . فيها صفة الإعجاز اللفظى للناس أو ليس فيها ذلك[١] .

ومعنى إيماننا بالكتب الإلهية تصديقنا الذى لايقبل الشك والبالغ حد اليقين بما أوحى به الله تعالى من كلامه المنزل على من اختارهم لرسالته وإجتباهم لتبليغ رسالاته ووصاياه إلى الناس فجمعت ودونت .

**حكم الإيمان بالكتب الإلهية :**

من المعلوم أن أركان العقيدة الإسلامية هى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه الأركان الستة متماسكة مترابطة لاينفك واحد منها عن الآخر فالإيمان بركن منها مع الكفر بغيره إنما هو فى الحقيقة جحود. وإنكارها جميعاً صاحبه لايسمى مؤمناً بل يعد كافراً لأن الإيمان بجميع الأركان كل لايتجزأ أو لاينفصل بعضه عن بعض .

فإذا أمنا ببعض الأركان وكفرنا بالبعض الآخر لانعد مؤمنين وإذا كفرنا بواحد منها فقد كفرنا بجميعها .

والإيمان بالله يستلزم الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالكتب الإلهية هو الركن الثالث من الترتيب لهذه الأركان فالكفر بواحد من هذه الكتب يعد كفراً بالله ويعتبر صاحبه من الكافرين.

---

(١) راجع المفردات فى غريب القرآن - الراغب الأصفهانى ص٤٢٢ . ط - البابى والحلبى بمصر .

وإذا كان اليهود يؤمنون بالزبور والتوراه ويكفرون بما بعدهما من الإنجيل والقرآن فهم كافرون وكذلك إيمان النصارى بكتب العهد القديم والجديد وكفرهم بالقرآن العظيم لاقيمة له . وإن كان القرآن الكريم قد أطلق على اليهود والنصارى أهل كتاب فليس معنى ذلك أنهم مؤمنون بل هم كما ذكرنا كافرون شأنهم فى ذلك شأن الكافرين بالله الملحدين الذين لايعترفون بالألوهية على الإطلاق وشأنهم كشأن من يشركون مع الله غيره فى الألوهية والعبودية وإذا كان الكفر درجات إلا فإن مطلق كلمة كفر وإلحاد تشمل الجميع لأن الكفر كله ملة واحدة (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[١] .

إذن فعقيدة الإيمان بالله لاتنفصل عن الإيمان بكتبه فمن مستلزمات الإيمان التصديق بجميع ما أنزل الله من كتب وجميع ما أرسل الله من رسل والتصديق بما أيدهم به من معجزات تدل على كمال صدقهم وتمام اليقين برسالتهم .

لذلك يعلن المسلم دائماً أنه مؤمن بجميع الكتب الإلهية كإيمانه بجميع المرسلين فالإيمان بالكتب الإلهية التى نزلت من الله تعالى جزء من التصديق الجازم به عز وجل ووجوب الإيمان بتلك الكتب حقيقة لايمارى فيها مؤمن ولايجادل فيها أو ينكر الإيمان بجميعها أو ببعضها إلا كافر لأنه إذا صدقت نسبة هذه الكتب إلى الله سبحانه وتعالى وجب التصديق بها وامتنع الانكار لها لأن الذى فيها وصية المتضمن لأوامره ووصاياه إلى رسله وبعد جمعها وتدوينها أطلق عليها كتب قيمة . فما عرف من تلك الكتب تفصيلاً لابد من الإيمان

---

(١) سورة يونس - آية ٣٢ .

به ومالم يعرف إلا بمجرد اسمه أو كونه صحيفة منسوبة إلى نبى أو لم يعرف محتواه ويجب الإيمان به إجمالاً .

والمرجع إلى جميع الكتب الإلهية هو مصدرها الوحيد المأمون من التحريف المحفوظ من التغيير بحفظه عز وجل هو القرآن الكريم إذ هو الكتاب الذى سلم من الزيادة فيه والإضافة إليه والنقص منه وتحريفه وتبديله مصداقاً لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .

وقد ضمن الله حفظ كتابه إلى قيام الساعة وسلامته من أن تناله يد التحريف والتبديل ليكون وثيقة تحتوى على جميع الكتب السماوية السابقة ففى حفظه حفظ لجميعها بعد أن نالتها الأيدى بالتغيير وحفظه كذلك حفظ لجميع الأديان السماوية الماضية والرسالات الإلهية السابقة وبحفظه كذلك ليغنى عن بعثة رسول جديد بعد أن خالفهم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فالذى يقرأ القرآن يجد فيه الشمول لجميع ماسبقه من كتب والأخبار عن جميع قصص الرسل وأقوامهم وهذه الكتب الإلهية تعد بمثابة تعاليم مقدسة من الله إلى خلقه. تحتوى على العقائد الصحيحة والشرائع الحقة والأخلاق المستقيمة، فهى بحق المنهج الإلهى والقانون الرباني الذى أنزله تعالى كنظام يسير عليه البشر فى عقائدهم وعباداتهم وفى حياتهم العامة والخاصة .

لذا يخاطب سبحانه وتعالى المؤمنين بوجوب التصديق بجميعها فى قوله (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل

---

(١) الحجر - آية ٩ .

على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً.. (١) .

فظاهر الآية أنه خطاب للمؤمنين بمداومة الإيمان بها. روى فى سبب نزول الآية أن عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه وسلاماً بن أخته وأسداً وأسيداً ابنى كعب وثعلبة بن قيس وغيرهم من اليهود أتوا الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فقالوا : نؤمن بك وبكتابك وبكتاب موسى التوراه وعزير ونكفر بما سواهما من الكتب والرسل. فقال عليه السلام . بل أمنوا بالله ورسوله وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله . فقالوا لانفعل فنزلت الآية فأمنوا كلهم، والكتاب الذى نزل على رسوه بلا خلاف هو القرآن والكتاب الذى انزل من قبل المراد به جنس الكتب الإلهية. وقوله (ومن يكفر جوابه فقد ضل ضلالاً بعيداً) .

وهو ليس مترتباً على الكفر بالمجموع بل المعنى ومن يكفر بشئ من ذلك يحكم عليه بالضلال البعيد وهو الذهاب عن الصواب والبعد عن الصراط المستقيم، وقدم الإيمان بالله على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل لأن الركن الأساسى المستدل عليه بالعقل ومابعده يكفى الإخبار عنه بالنص الموثق الصادر عن الله ورسله ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل واليوم الآخر، وقدم الكتب على الرسل على سبيل الترتيب الوجودى لأن الملائكة تنزل بالكتب على الرسل والرسل تتلقى هذه الكتب منهم (٢) .

---

(١) النساء آية ١٣٦.

(٢) البحر المحيط بتصرف لابن حيان الأندلسى حـ٣ ص٣٧١ ، ٣٧٢ .

وقد أمر سبحانه رسوله بالإيمان بجميع الكتب الإلهية حتى تقتدى به الأمة جميعها من عهده إلى قيام الساعة لأنه أسوتها فى كل أمر قال تعالى (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ...) [١] .

وهذا النص الكريم يدعو الناس إلى الإيمان بالله الواحد عن طريق دعوتهم إلي ذلك بواسطة تبليغ نبيه الكريم . فهو القيادة الجامعة التى تعلى وحدة الكتاب فى منهجها ووحدة الحق الذى جاءت به، ووحدة الهدف والمصير والخير الذى تنتهى إليه حياتهم إن تمسكوا بها فى جميع أمورهم .

وفى التصريح من الرسول (ص) بأنه آمن بجميع الكتب السماوية السالمة من التحريف تعليم للأمة بأن يقولوا ذلك حتى يصح إيمانهم وحتى لايكون ثمت فرق بين كتاب وآخر اللهم إلا من حيث صحة الكتاب فى التبديل وإعلاء درجة رسول الله منهم على غيره وإلا فمحبتهم ووجوب طاعتهم جميعاً فرض واجب على كل مؤمن .

وفى معرض آخر يوضح الكتاب العزيز أن الإيمان بجميع أركانه هو الحد الفاصل بين النهوض بالتكاليف والتبعات الملقاه على عاتق المؤمن من قبل خالقه وبين النكول عن هذه التكاليف والبعد عنها فهو سبحانه لايريد الإثقال على هذه الأمة وفى الوقت نفسه لايحابيها ولايتركها تضل فى بيداء الحياة سدى فى غير هداية ويجعل الإيمان بالكتب الإلهية واحد من هذه الأركان فيقول :

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [٢] .

---

(١) الشورى - آية ١٥ .

(٢) البقرة - آية ٢٨٥ .

هذا ولما كان مفتتح السورة بذكر الكتاب المنزل وأنه هدى للمتقين والموصوفين بتصديقهم بالغيب وبما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله كان فختامها كذلك موافقاً لمفتتحها وهذا فى أوج قمة البلاغة حتى يتلاقى آخر الكلام المفرط فى الطول مع أوله. وبين تعالى فى تلك الآية أن أولئك المؤمنون وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لايكمل إيمانهم ولايقبل ولايكون منجياً فى الآخرة إلا بالتصديق بجميع ماذكر فى الآية، والألف واللام فى الرسول للعهد وهو رسولنا محمد عليه السلام . فما أنزل إليه ربه شامل لجميع ماأنزل الله تعالى من العقائد وأنواع الشرائع وأقسام الأحكام فى القرآن وغيره وقدم إيمان الرسول لأنه هو المتقدم وإيمان المؤمنين متأخر عن إيمانه إذ هو المتبوع وهم التابعون فى ذلك والإيمان بالكتب هو التصديق بكل ماأنزل على الأنبياء الذى تضمنهم كتاب الله وماأخبره به رسول الله (ص) . من ذلك وقد جاء الإيمان بالكتب فى الترتيب بين أركان الإيمان الثالث بعد الإيمان بالله الذى هو التصديق بوجوده ذاتاً وصفاتاً ونبذ كل ماسواه من المعبودات الباطلة وجاء بعد الإيمان بالله بالملائكة الذى هو اعتقاد وجودهم وأنهم عباد مكرمون وورد بعد الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل الذى هو التصديق بأن الله أرسلهم لعباده وهذا ترتيب فى غاية التنسيق بالوحى المنزل فى هذه الكتب ويوافقه العقل . ووجود الصانع يقر بوجوده كل عاقل والإيمان بالملائكة، جاء بعده لأنهم الوسطاء بين الله وعباده، وهذا الإيمان بالكتب هو الوحى الذى تتلقاه الملائكة من الله وتوصله إلى البشر والإيمان بالرسل جاء بعد ذلك لأنهم الذين يقتبسون أنوار الوحى فهم متأخرون فى الذكر عن الملائكة - هذا ولما كانت العقيدة الإسلامية كلاً لايتجزأ ولاتنفك عراها ولاتنفصم أركانها بعضها عن بعض

ومجموع أركانها يكمل بتوافر جميع أسسها وركائزها وأن الإيمان بواحد منها يستلزم التصديق بسائرها .

* لماذا كان الإيمان بالكتب السماوية ضرورة حتمية :

إن وجود الكتب السماوية ضرورة حتمية لابد منها لحاجة المؤمنين الماسة إلى أنوار هدايتها فى كل زمان ومكان وتلك الحاجة كانت ماسة ومؤثرة فى حياة الأفراد والجماعات لما يأتى:

أولاً : ليكون ذلك الكتاب الإلهى مرجعاً يرجع إليه فى تحديد مقاصد الدين وأهدافه وغاياته وأسسه كما يكون مرجعاً فى التعرف على أحكام الدين وشرائعه وعقائده ومبادئه، لتعلم الواجبات التى يأمرهم بها والمحرمات التى ينهاهم عنها ، والفضائل والكمالات الأخلاقية التى يرغبهم فيها وليكون كذلك مرجعاً فى المواعظ والنصائح والأمثال والترغيب والترهيب القصصى والتبشير والوعد والوعيد وكل مايدلهم على الطريق إلى مرضاة الله جل وعلى .

ثانياً : ليكون الكتاب المنزل هو الحكم الذى يفصل فى الاختلافات والمنازعات بين اتباع الدين الذى نزل من أجله ذلك الكتاب من حيث كونه كلاماً منزلاً من عنده سبحانه وتعالى . وإذا حكم الله فى قضية فلابد من إذعان البشر لحكمه وتسليمهم بأمره لأنه الحكم العدل العليم بما يصلح نفوس خلقه ويهديهم إلى سبل السعادة وطرق الأمان .

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [١] .

---

(١) سورة الملك - اية - ١٤ .

وليكون الكتاب المنزل مصدر إتفاق بعد اختلاف وتجميع بعد تفرق لأنه الدستور السماوى الجامع الذى يذعن له ويسلمون بحكمه فى كل أمر من أمورهم قال تعالى :

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (١).

ومعنى الآية إجمالاً أن الناس كانوا أمة واحدة على دين الفطرة منذ النشأة الأولى للخليقة يوحدون الله ويعبدونه فإختلفوا على التوحيد والطاعة بتأثير عوامل الجهل والهوى والشيطان فبعث الله النبيين مبشرين بالنعيم كل من آمن وأطاع ومنذرين بالعقاب كل من جحد وكفر وسلك الطريق المعوج تاركاً الصراط السوى بعيداً عن طريق الهدى والنور، مبتعداً عن سبيل الكمال والرشد وأنزل مع كل رسول كتاباً يدل على الحق ليحكم بين الناس فى كل قضية يختلفون بشأنها، ومعلوم أن حكم الله هو الحكم الذى ليس فوقه حكم فهو القاضى بالعدل المنزه عن الهوى والغرض بينما القوانين الوضعية تتنازعها الأغراض والأهواء وتفضل مصلحة طائفة على أخرى. ومن أجل قيام الرسل بمهمة التبليغ المنوطة بهم ودلالتهم على مايوصل إلى كل خير وفلاح كان انزال الكتاب مصدر إشعاع وهداية وعلم ونور.

**ثالثاً** : ليكون الكتاب الإلهى مصدر صيانة للدين من عبث أصحاب الأهواء الشيطانية والنفوس المريضة فلايستطيعون التلاعب بدين الله ولايقدرون على جعل الدين مطابقاً لأهوائهم وموافقاً لانحرافاتهم ومسايراً لضلالهم وبدعهم وكفرهم.

---

(١) البقرة - ٢١٣.

**رابعاً** : وفضلاً عن ذلك فإن استمرار وجود الكتاب المنزل بعد رحيل الرسول المنزل عليه عن الحياة الدنيا بالموت فيؤدى إلى تعريض ماجاء به من مثل وعقائد وقيم وأحكام للضياع فوجود الكتاب بعد موت من أنزل عليه امتداد لحياة الرسول وصمام أمن يحمى الشريعة من التلاشئ وضمان لبقاء الدين وخلوده ببقاء ذلك الكتاب وحفظه . ويعد بمثابة دستور قانونى ومنهج ربانى يلزم المختلفين بالرجوع إلى ذلك القانون والمنهج فلا يبقى هناك مجال للمغامرة والمحيد عن أحكامه ونصوصه فالذى ينشد الحق عندما يكون على رأى باطل ويواجه بالدليل المنصوص الدال على بطلان رأيه يزعن للنص ويقلع عن رأيه .

**خامساً** : ليكون الكتاب المنزل سبباً فى اتساع الدين وانتشار اتباعه بعد وفاة من أنزل عليه فإنه يكون حينئذ بمثابة معجزة باقية على مدى الدهر مغنية عن دين جديد ورسول جديد ، معجزة متجددة فى كل زمان ومكان خاصة إذا كان الكتاب معجزاً كالقرآن الكريم والرسالة عامة كالرسالة المحمدية فكل إنسان يستطيع أن يطالع المعجزة القرآنية الدالة على صدقه ، ويشاهد الدليل على كونه حجة بمطالعة ذلك الكتاب لوقائع الناس وحوادثهم التى تتجدد بتجدد الزمان والمكان ومسايرته لفطرته وحياتهم وهو الكتاب الذى اشتمل على كل الكتب السماوية السابقة وهيمن عليها ودل على إنزالها من عند الله لأنها جميعاً حرفت وهو مايزال باقياً إلى آخر الدنيا محفوظاً

بحفظ الله له فيسلم الإنسان بذلك قياده لله ويؤمن بتطبيق منهجه وشريعته فى حياته الخاصة والعامة[١] .

ومن أجل ماسبق ولحكم أخرى يعلمها الله كان الإيمان بالكتب السماوية ضرورة حتمية - وحاجة ضرورية لاغنى للبشر عنها لأنه تعالى أنزل كتبه على رسله لتنذر وتبشر وتعظ وترشد وتأمر وتنهى وتهدى الناس إلى الصراط المستقيم وتحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وقد بلغ الرسل إلى الناس جميع نصوص تلك الكتب الإلهية ومضى الرسل إلى لقاء ربهم وتركوا تلك الكتب لتكون من بعدهم للناس هدى ونور .

**التعريف بالكتب الإلهية :**

إننا حينما نتحدث عن الكتب السماوية يجب أن نبدأ بالحديث عن التوراة لأنها أقدم كتاب أنزله الله ، صحيح أنه قد أنزلت من قبلها صحف على آدم وشيث وإبراهيم وموسى إلا أننا لسنا بصدد الحديث عن الصحف الآن وإنما نحن بصدد الحديث عن الكتب الأربعة لأن هذه الكتب باستثناء الإنجيل كان لديها منهج تشريعى بالإضافة إلى القاسم المشترك بين الكتب جميعاً وبين الصحف، وهو المواعظ والنصائح والقيم والفضائل والمثل والأخلاق، لذا نبدأ من هذه الكتب الأربعة بدراسة أقدم كتاب من الناحية الزمنية والتاريخية والتشريعية وهو .

**(١) التوراة :**

هو الكتاب الإلهى الذى أنزله الله تبارك وتعالى على نبينا موسى عليه السلام، وهو اسم عبرانى أصله طور بمعنى الهدى، والظاهر أنه اسم الألواح التى فيها الكلمات العشر التى نزلت على موسى

---

(١) انظر أركان الإيمان لوهبى سليمان ص١٣٨ الطبعة الثانية وأسس العقيدة الإسلامية - محمد حسن حنبكه الميدانى ص٥٣٨ - ٥٤٠.

عليه السلام فى جبل الطور لأنها أصل الشريعة التى جاءت فى كتب موسى فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى، واليهود يقولون (سفر طورا) فلما دخل هذا الاسم إلى العربية أدخلوا عليه لام التعريف التى تدخل على الأوصاف والنكرات لتصير علماً بالغلبة مثل : العقبة ، ومن أهل اللغة والتفسير من حاولوا توجيهها لاشتقاقه اشتقاقاً عربياً :

**قال الألوسى[١] :**

واختلف فى اشتقاق التواره فقيل اشتقاقه من ورى الزناد إذا قدح فظهر منها النار لأنها ضياء نور. وقيل من ورى فى كلامه إذا عرض لأن فيها رموزاً كثيرة وتلويحات جليلة، ووزنها عند الخليل وسيبويه فوعله كصومعة ، وأصله ووراه بواوين فأبدلت الأولى تاءً وتحركت الباء وإنفتح ماقبلها فقلبت ألفاً فصارت - توراه - وكتبت بالياء تنبيهاً على الأصل ولذلك أميلت - وقال الفراء : وزنها تفعله بكسر العين فأبدلت الكسرة فتحة وقلبت الياء ألفاً وفعل ذلك تخفيفاً كما قالوا فى توصية توصاه ، واعترض البصريون بأن هذا البناء قليل وبأنه يلزم منه زيادة التاء أو لا وهى لاتزاد كذلك إلا فى مواضع ليس هذا منها ، وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها تفعله بفتح العين فقلبت الياء ألفاً. فقالوا أنه مشتق من الورى ، وهو الوقد بوزن تفعله أو فوعله ، وربما حملهم على ذلك أمران : أحدهما دخول حرف التعريف عليه وهو لايدخل إلا على الأسماء العجمية . وأجيب بأنه لامانع من دخولها على المعرب، كما قالوا - الأسكندرية وهذا جواب غير صحيح لأن الأسكندرية وزن عربى إذ هو نسب إلى

---

(١) روح المعانى حـ٣ ص١٦ - دار إحياء التراث العربى - بيروت .

اسكندر، فالوجه فى الجواب أنه إنما ألزم التعريف لأنه معرب عن اسم بمعني الوصف اسم علم ، فلما عربوه الزموه اللام لذلك(أ. هـ) .

الثانى : أنها كتبت فى المصحف بالياء ، وهذا لم يذكروه فى توجيه كونه عربياً وسبب كتابته كذلك الإشارة إلى لغة إمالته[١] والتوراه هى مايطلق عليها العهد القديم . ويشتمل على الأرجح الصحف التى أنزلت على كريم الله موسى والألواح التى جاء بها بعد مناجاته مع خالقه ومرسله لبنى إسرائيل وكانت تلك المناجاة فى جبل الطود .

وقد أخبر الله فى محكم تنزيله بأنه سبحانه استكتب موسى الألواح وأعطاه فيها من كل شئ موعظة وجعلها تفصيلاً لكل مجالات الحياة التى كانت مطلوبة حينئذ .

قال تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ... الأعراف ١٥٤) .

المراد بالغضب ماكان يشعر به موسى عليه السلام أثناء مناجاته بعبادة قومه للعجل بعد رجوعه من مناجاة ربه وتلقيه للتوراة إذ كان يشعر حينئذ بضيق فى صدره لترك قومه للوحدانية إلى عباده عجل صنعه السامرى لهم من الذهب الخالص وكانوا يميلون إلى أن تكون صورة الإله مجسدة أمام أعينهم فتركوا عبادة الله واتجهوا إلى عبادة العجل ولما ذهب الضيق عن موسى أخذ الألواح بعد أن هدأت ثائرته وهذه الألواح جمع لوح وهو ماكتب فيه التوراة . (وفى نسختها) أى مانسخ وكتب منها من الهدى والرحمة لكل حائر خال مذنب من الذين يرهبون ربهم. (أى يخافونه) .

---

(١) التحرير والتنوير- محمد بن طاهر ابن عاشور حـ٢ ص١٤٨ ط تونس.

والدليل على أسبقية التوراة على غيرها من الكتب ماجاء فى قوله تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لمابين يديه من التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس) [١] . قال الألوسى فى تفسيرها ماملخصه[٢] (نزل عليك الكتاب) أى القرآن الجامع للأصول والفروع ولما كان ويكون إلى يوم القيامة، وفى التعبير عنه باسم الجنس إيذان بتفوقه على بقية الأفراد فى الانطواء علي كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب دون ماعداه كما يلوح إليه التصريح باسم التوراة والإنجيل وفى الإتيان بالظرف وتقديمه على المفعول الصريح واختيار ضمير الخطاب ، وإيثار (على) على (إلى) ، مالايخفى من تعظيمه صلى الله عليه وسلم والتنويه برفع شأنه عليه السلام، (بالحق) أى بالصدق فى أخباره أو بالعقد - كما نص عليه الراغب أو بما يحقق أنه من عند الله تعالى من الحجج القطعية وهو فى موضع الحال أى أنزلناه متلبساً بالحق أو محقاً وفى البحر يحتمل أن يكون الباء للسببية أى بسبب إثبات الحق .

(لما بين يديه أى الكتب السالفة والظرف مفعول مصدقاً واللام لتقوية الفعل (وأنزل التوراة والإنجيل) ذكرهما تعييناً لما بين يديه وتبييناً لرفعة محله بذلك وتأكيد لما قبل وتمهيد لما بعد ولم يذكر المنزل عليه فيهما لأن الكلام فى الكتابين لافيمن نزل عليه . والتعبير - بأنزل - فيهما للإشارة إلى أنه لم يكن لهما إلا نزول واحد وهذا بخلاف القرآن فإن له نزولين نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزه من سماء الدنيا جملة واحدة ، ونزول من ذلك إليه صلى الله عليه

---

(١) سورة آل عمران آية ٣، ٤ .

(٢) روح المعانى حـ٣ ص٧٥ دار إحياء التراث العربى - بيروت .

وسلم منجماً فى ثلاث وعشرين سنة على المشهور ولهذا يقال فيه : نزل وأنزل وهذا أولى مما قيل : إن - نزل - يقتضى التدرج وأنزل يقتضى الإنزال الدفعى إذ يشكل عليه (لولا أنزل عليكم فى الكتاب) وذكر بعض المحققين لهذا المقام إن التدريج ليس هو التكثير بل الفعل شيئاً فشيئاً كما فى (تسلسل) ، والألفاظ لابد فيها من ذلك فصيغة - (نزل) تدل عليه ، والإنزال مطلق، لكن إذا قامت القرينة يراد بالتدريج التنجيم، وبالإنزال الذى قد قوبل به خلافه أو المطلق بحسب مايقتضيه المقام .

(وأنزل التواره والإنجيل من قبل) (من قبل) متعلق - بأنزل - أى أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب ، وقيل من قبلك والتصريح به من ظهور الأمر للمبالغة فى البيان . كذا قالوا برمتهم وأنا أقول للتصريح به للرمز إلي أن إنزالهما متضمن للإرهاص لبعثته صلى الله عليه وسلم حيث قيد الإنزال المقيد بمن قبل بقوله سبحانه : (هدى للناس) - أى أنزلهما كذلك لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذى من جملته الإيمان به (ص) واتباعه حين يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن إنما هى من هذا الوجه لاغير (أ. هـ) .

**مراحل التوراة ومصيرها :**

لقد مرت على التوراة عدة مراحل تاريخية وأحقاب زمنية فقد كانت فى أول أمرها مجموعة ألواح كتبها موسى بيده بعد مواعدته فى الطور أربعين ليلة وبعد كتابتها صنع لها صندوق خشبى سمى

بتابوت عهد الرب ووضعها فيه وقد أخبرهم موسى عليه السلام بأن الله وعدهم أرض كنعان بعد خروجهم من مصر ولكنهم رفضوا دخولها فعوقبوا بالتيه أربعين سنة وكتب على بنى إسرائيل الذله والخذى والنكال وحينئذ مات موسى عليه السلام وبعد وفاته دخل اليهود معارك القتال مع الكنعانيين وهو مايسمى بالفلسطينى ويسميهم التاريخ بالعماليق وقد وصفهم بنوا إسرائيل بالجبارين كما حكى عنهم القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالي رداً منهم على نبيهم موسى عليه السلام وتعليلاً لرفضهم دخول أرض الكنعانيين وقتالهم (قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون..) [١] وبعد انتهاء المعارك بين اليهود والفلسطينيين دخلت التوراه فى دور خطير فقد تغلب عليهم الفلسطينيون وقهروهم فى الحروب وسلبوهم التابوت الذى كان فيه التوراه ولما أعيد إليهم لم توجد فيه التوراه وكانت هى النسخة الوحيدة التى كتبها موسى بيده ولم يكن أحد من بنى إسرائيل كان قد كتب غيرها وكان إنعدامها بعد وفاة يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام وولايته على بنى إسرائيل وقد ارتدوا بعد وفاة يوشع وعبدوا الأصنام وشيدوا لها الهياكل والمذابح ومنذ ذلك العصر والتوراة الصحيحة المنزلة على موسى عليه السلام فقد فقدت من الوجود اللهم إلا ماكان منها محفوظاً فى صدور الكهنة والأحبار من الروايات الشفوية مما كان يختص بالأحكام الشرعية الضرورية وبعض حوادث تاريخية وهى التى ساعدتهم علي أن يكتبوا فيما بعد صحفاً وقراطيس من هنا وهناك يبدونها ويخفون الكثير منها ، ثم هم يتخذون منها مجموعة يسمونها التوراة يعلمون الناس منها مالم ينزل الله به من سلطان .

---

(١) المائدة آية ٢٢ .

**التوراة بين عصرين :**

وتختلف النظرة بالنسبة إلى التوراة بحسب عصرين مختلفين :

أ) لقد ظل الاعتقاد سائداً لدى اليهودية والنصرانية طيلة قرون طويلة وأزمان بعيدة عن التوراة الموجودة بين أيدينا الآن بما تحويه من أسفار خمسة هى التوراة القديمة التى تلقاها موسى عن ربه وإكتتبها بيده .

ب) أجمع المحققون من العلماء المعاصرين والقدامى على بطلان القول بكتابه موسى عليه السلام للتوراة الحالية «لكن ذلك الرأى لم يستطع أصحابه الجهر به وإعلانه لأن المسيح عليه السلام قد منح التوارة عنايته مما زعموا أنه ورد فى العهد الجديد على لسانه ونحن نقطع بأن التوراة المعاصرة ليست هى التى إكتتبها موسى عليه السلام وإنما هى من إملاء بعض الأحبار خاصة بعد وفاة موسى عليه السلام بنحو ستمائة عام وبعد فقد التوراة الأصلية الصحيحة أثناء تخريب بختصنر للهيكل عام ٥٨٦ ق. م وكانت ماتزال بعض الذكريات عن التوراة وأحبارها وماجاء فيها عالقة بالأذهان من حوادث تاريخية سجلت على فترات زمنية طويلة بنزعات يهودية مختلفة أسهمت جميعها فى تشكيل أسفار موسى الخمسة وكان أول تأليف للتوراة فى عهد (يوشيا بن آمون) على يد الكاهن (خلقيا) ومكثت اليهود بعد سبعين عاماً بعد ضياع الهيكل وإحراق التوراة ثم استولى الفرس بزعامة ملكهم كورش على بلاد فلسطين ومنها (أورشليم) وبناء الهيكل وقد سمح لهم بعد غيبتها عن الوجود طيلة غلبة البابليين مدة سبعين سنة وكان جمعها على يد الكاهن عذرا جمعها من صفحات مهلهلة

يمكن القول بأنها وسائط عن توراة موسى فى صدور غير واعية تعتمد على الذاكرة التى كثيراً ماتنسى ويخونها الحفظ وسمى ماجمعه عذرا بالتوارة[١] والذى أملاه حلقيم كان قبل بختنصر والذى قام به عذرا كان بعد بختنصر .

ويمكننا القول بأن التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب ليس لها سند متصل صحيح النسب إلى موسى عليه السلام وإنما دخلها التحريف والتبديل من غير تمييز بين الأصل والمحرف لذى لايصح الاعتماد عليها ككتاب منزل من عند الله ولاينبغى الثقة بها.

**ماهى التوراة المذكورة فى القرآن الكريم :**

لقد تحدث الكتاب الخاتم الذى نزل على النبى الخاتم عن التوراة الأصلية التى لم تصل إليها أيدى المحرفين والتى هى عبارة عن مجموعة من التشريعات والأحكام الإلهية الخاصة ببنى إسرائيل فقد ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى :

«وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله. ثم يتولون من بعد ذلك وماأولئك بالمؤمنين. إنا أنزلنا التراة . فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما إستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس

---

(١) انظر :

أ - العقيدة الإسلامية لمحمد قعجى . طبعة عام ١٤٠٣ هـ ص٢١٠ إلى ص٢١٥.

ب - الأديان فى القرآن - محمود ابن الشريف . الطبعة الرابعة ص١٣٥ .

جـ - الملل والنحل للشهرستانى طبعة ١٤٠٠ هـ حـ١ صـ٢٢٠-١٢١.

وإخشون ولاتشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرين[١] .

- روى مسلم بسنده عن أبى هريرة[٢] : قال - زنى رجل من اليهود وامرأة قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى هذا النبى فإنه نبى مبعوث للتخفيف . فإذا أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججناها عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك فجاؤه صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد مع أصحابه فقالوا ياأبا القاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا . فلم يكلمهما حتي أتى بيت مدراسهم[٣] فقام على الباب ، فقال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ماتجدون فى التوراة على من زنى إذا أحصن . قالوا يحمم ويجبى ويجلد ، والتجبية أن يحمل الزانيان على الحمار ويقابل أقفتهما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم سكت ألح به فى النشدة فقال اللهم إذا نشدتنا فإنا نجد فى التوراة الرجم فقال النبى (ص) فما أول ماأرخصتم أمر الله عز وجل قال زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم . ثم زني رجل من سراه الناس فأراد رجمه فأحال قومه دونه فقالوا لايرجم صاحبنا حتى يجيئ بصاحبكم فيرجمه فأصطلحوا على هذه العقوبة بينهم فقال النبى (ص) فإنى احكم بما فى التوراة فأمر بهما فرجما .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٣ر ٤٤ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ص١٤٧، ح١ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - وهو موجود بصحيح مسلم . رواه مسلم عن البراء ابن عازب فى كتاب الحدود حديث رقم ٢٦ حـ٤ ص٢٨٤ ط- دار الشعب القاهرة وأخرجه الترمذى مختصراً عن عبد الله بن عمر فى كتاب الحدود باب ماجاء فى رجم أهل الكتاب - جامع الترمذى حـ٤ ص٣٤ طبعة دار الحديث القاهرة .

والمعنى أنه من أجل هذا جاءت الأديان السماوية السابقة لتكون منهجاً متكاملاً لجميع مجالات الحياة من عقيدة وشريعة وأخلاق وسلوكيات ويتجلى ذلك واضحاً فى التوراة المنزلة على الكريم موسى : ففيها العقائد والشعائر التعبدية وفيها أيضاً الشرائع والقوانين السلوكية . فهى هدى ونور لا للضمائر فحسب ولكن للاهتداء بها فى الواقع العملى . فيحكم بها النبيون الذين أسلموا أنفسهم لله وأسلموا مشيئتهم واتجاههم لله وليس لهم مشيئة خاصة ولا اتجاه خاص فى إبتداع شعائر أو شرائع. وإنما كانت وجهتهم وقبلتهم التوراة يحكمون بها للذين هادوا فى شريعتهم الخاصة نزلت لهم بصفتهم هذه . كما يحكم بها لهم الربانيون والأحبار، وهم قضاتهم وعلماؤهم وذلك بما أنهم كلفوا المحافظة على كتاب الله وكلفوا أن يكونوا عليه شهداء، فيؤدوا له الشهادة فى أنفسهم . بصياغة حياتهم الخاصة وفق توجيهاته، كما يؤدون له الشهادة فى قومهم بإقامة شريعته بينهم .

ولقد علم الله أن الحكم بما أنزل سيواجه بمعارضة ومقاومة شديدة من كل من يريدون الحكم بالقوانين الوضعية التى ماأنزل الله بها من سلطان فيرد الألوهية إليه فى الحكم والتشريع من نفسه إلهاً له حق التشريع مع أن هذا الحق خاص بالله وحده دون أحد سواه .

فهذه الآية تعجب من اليهود الذى احتكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم مع أنهم لايؤمنون به ولابكتابه وفى كتابهم الذى يدينون به حكم الله تعالى وفيها نص جلى برجم الزانى وغرضهم من التحاكم إليه (ص) الاستناد إلى رخصة منه فيما تحاكموا فيه وقد فعلوا ذلك إتباعاً لأهوائهم وإرضاءً لما فى لشهواتهم فإذا كانوا قد تركوا التوراة وهى كتابهم الذى يدينون بالإيمان به وفيها الإجابة على

حكم ما جاءوا يسألون عنه فإنهم جديرون بعدم الإقتناع بحكم الذى يوافق حكم كتابهم ، معرضين عما حكم به مع موافقته حكمه عليه الصلاة والسلام لما جاء فى التوراة فاستحقوا بذلك وصفهم بالكفر .

**قال أبو حيان :**(١)

قوله (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) .

قيل : نزلت فى الجاحدين لحكم الله وهى عامة فى كل من جحد حكم الله .

وقال قتادة : إن رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية ترغيب لليهود بأن يكذبوا أحبارهم. وقال جماعة فى الهدى والنور أنهما سواء، وقيل إن الهدى الإرشاد إلى الشرائع والنور مايستضاء به من أوامر الشرائع ونواهيها وقوله (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار) .

أى من لدن موسى إلى عيسى وقيل من محمد ومن قبله من الأنبياء (والربانيون والأحبار) قال الأكثرون أنهما بمعنى العلماء - وقوله (كانوا عليه شهداء) الضمير إما عائد على كتاب الله فيكون المعنى،أى كانوا عليه رقباء لئلا يبدل والمعنى . يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وقيل الضمير عائد على الحكم وقيل علي الرسول فيكون المعنى وكانوا شهداء أنه نبى مرسل. ثم ينهى الله عن خشية غيره فى كل الأمور فيقول (فلا تخشوا الناس وإخشون) أى ولاتتهاونوا بآيات الله طلباً للجاه والمال ورغبة فى الدنيا كما فعل أحبار اليهود بكتاب الله وأحكامه ... أ. ه .

وكما أشاد القرآن الكريم بالتوراة فوصفها بالهدى والنور وذكر أنها كتاب شرائع وأحكام ينبغى الرجوع إليها أو ردها فى موضع آخر

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى حـ٣ ص٤٩٠ - ٤٩٢ .

مقرون مع الإنجيل وهما يبشران بالنبى (ص) فى قوله تعالي (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بأياتنا يؤمنون الذى يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين أمنوا به وعذروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . أولئك هم المفلحون... (١)

إن عذابه تعالى يصيب به من يستحق عنده العذاب وبه تجري مشيئته بالعدل والقسطاس المستقيم أما رحمته تعالى فمطلقة عن التقييد قد إتسعت للناس جميعاً ولاتجرى مشيئته بالعذاب أو الرحمة جزافاً أو مصادفة وبعد تقرير هذه القاعدة الإلهية الكبرى، يطلع الله كليمه موسى بخبر الرسالة الخاتمة المستحقة لهذه الرحمة والتى يكتبها الله لمن يلتزمون بتقواها وخشيته والذين يؤدون حقوق الله فى أموالهم ويصدقون بالغيب ويتبعون النبى الأمى فى أقواله وأفعاله ويحكون شرعه فى كل سلوكياتهم . ذلك النبي الذى يجده اليهود والنصارى يجدونه مكتوباً فى التوراة والإنجيل باسمه وصفته وبعثته وهجرته ومنهج رسالته فهو النبى المبشر به فى كتبهم المقدسة وهو النبى الأمى وهو الذى يأمر الناس بالمعروف ينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . وهو يضع عمن يؤمون به من بنى إسرائيل الأثقال التى علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم . فيرفضها عنهم حين يؤمنون به. وقد جاء الخبر اليقيين بأن الذين يصدقون بهذا النبى الأمى ويؤازرونه ويؤيدونه ويتبعون النور الذى أرسل به لهدايتهم هم الفائزون بالفلاح لاغيرهم .

---

(١) سورة الأعراف (١٥٦ - ١٥٧) .

قال أبو حيان :(١)

وقوله (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) بقية من خطابه تعالى لموسى عليه السلام . وفيه تبشير له ببعثة محمد (ص) وذكر لصفاته وإعلام له أيضاً أنه ينزل كتاباً يسمى الإنجيل . ومعنى الاتباع الاقتداء فيما جاء به إعتقاداً وقولاً وفعلاً. وجمع هنا بين الرسالة والنبوة .

والأمى الذى هو على صفة العرب فأكثرهم لايقرأ ولايكتب. وأمره بالمعروف أتى بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام وقيل الحق وقيل الإيمان وقيل كل ماعرف بالشرع . والمنكر هو عبادة الأوثان وقطع الأرحام وقيل هو الشرك وقيل هو الباطل وقيل الفساد وقيل القول فى صفات الله بغير علم . والطيبات هى الحلال المستلذ. أما الخبائث فهى كل ماتستخبثه العرب كالعقرب والحية. الأصر هنا الثقل والأغلال جاءت هنا بمعنى كل ماكلفوا به من الأمور الصعبة كقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وترك الاشتغال يوم السبت ثم بين أن الفلاح والفوز لمن أثنى عليه ومدحه واتبع النور الذى أنزل معه ألا وهو القرآن الكريم - أ. هـ .

أقول وكما جاء فى التوراة والإنجيل ذكر صفة النبى (ص) ورسالته والإشادة بالنور المبين الذى جاء اتباعه به أورد فى موضع آخر صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفه أصحابه فى التوراة والإنجيل فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم

---

(١) انظر المرجع السابق حـ٤ ص٤٠١ إلى ص٤٠٤ .

فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآذره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الذراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ..[١] .

فالنبى فى تفرده وتوحده بالرسالة كالزرع الذى ينبت وحيداً وأصحابه يشبهون فى إحاطتهم به وتنفيذهم لأوامره الأغلفة التى تحيط بالحبة حال كونها فى سنبلتها والضمير فى فآذره عائد على الزرع لأن الزرع أول مايطلع رقيق الأصل. فإذا خرجت سنابله قوى أصله وكذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا قلة ضعفاء فلما كثروا وقوى شأنهم قاتلوا المشركين وهذا الزرع أعجب الزراع عندما تم نباته وقويت سيقانه فكان حرياً أن يعجب الزراع لعدم وجود العيب فيه وفى التوراة والإنجيل مكتوب أنه سيخرج من أمة محمد (ص) قوم ينبتون نباتاً كالزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

يقول صاحب الظلال : فى تفسيرها مانصه[٢] .

إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع ، صوره مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة حالاتها الظاهرة والمضمرة . فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم «أشداء على الكفار رحماء بينهم» ولقطة تصور هيئتهم فى عبادتهم : «تراهم ركعاً سجداً» ولقطة تصور قلوبهم ومايشغلها ويجيش بها «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» .. ولقطة تصور التوجد إلى الله وسمتهم وسحنتهم وسماتهم «سيماهم فى وجوههم

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٢) فى ظلال القرآن - سيد قطب حـ٦٦ دار الشروق .

من أثر السجود .. «ذلك مثلهم فى التوراة» .. وهذه صفتهم فيها .. ولقطات «فاستوى على سوقه» .. «يعجب الزراع» .. «ليغيظ بهم الكفار .

وتبدأ الآية بإثبات صفة محمد - صلى الله عليه وسلم وصفته التى أنكرها سهيل بن عمرو ومن وراءه من المشركين «محمد رسول الله» .. ثم ترتسم تلك الصورة بذلك الأسلوب البديع . والمؤمنون لهم حالات شتى .ولكن اللقطات تتناول الحالات الثابتة فى حياتهم، ونقط الإرتكاز الأصلية فى هذه الحياة ، وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة فى الصور الوضيئة .. وارادة التكريم واضحة فى اختيار هذه اللقطات ، وتثبيت الملامح والسمات التى يصورها التكريم الإلهى لهذه الجماعة السعيدة .

إرادة التكريم واضحة ، وهو يسجل فى اللقطة الأولى والثانية أنهم «أشداء على الكفار رحماء بينهم أشداء على الكفار وفيهم أباؤهم وإخوتهم وذو قرابتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً. رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين فهى الشدة لله والرحمة لله. وهى الحمية للعقيدة) والسماحة للعقيدة . فليس لهم فى أنفسهم شيئ، ولاالأنفسهم فيهم شئ وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها ، يشتدون على أعدائهم فيها ويلينون لإخوانهم فيها . فقد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ومن الانفعال لغير الله، والوشيجة التى تربطهم بالله .

وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة : «تراهم ركعاً سجداً» .. والتعبير يوحى كأنما هذه هيئتهم الدائمة التى يراها الرائى حينما رآهم. ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة، وهى الحالة الأصلية لهم فى حقيقة

نفوسهم، فعبر عنها تعبيراً يثبتها كذلك فى زمانهم حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً .

واللقطة الثالثة مثلها . ولكنها لقطة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم : «ويبتغون فضلاً من الله ورضواناً» فهذه هى صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة، كل مايشغل بالهم وكل ماتتطلع إليه أشواقهم ، هو فضل الله ورضوانه ، ولاشئ وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون به .

واللقطة الرابعة . تثبت أثر العبادة الظاهر والتطلع المضمر فى ملامحهم ونضحها على سماتهم : «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» .. سيماهم فى وجوههم من الوضاءة والإشراق ، والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحى الوضئ اللطيف وليست هذه السيما هى النكتة المعروفة فى الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله ..«من أثر السجود» .. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله فى أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع . أثره فى ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة والذبول الخفيف الذى يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحه ونبلاً وهذه الصورة الوضيئة التى تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة إنما هى ثابتة لهم فى لوحة القدر) ومن ثم فهى قديمة جاء ذكرها فى التوراة «ذلك مثلهم فى التوراة» .. وصفتهم التى عرفهم الله بها فى كتاب موسى، وبشر الأرض بها قبل أن يجيئوا إليها . «ومثلهم فى الإنجيل وصفتهم فى بشارته بمحمد ومن معه» أنهم «كزرع أخرج شطأه» .. فهو زرع نام قوى، يخرج قوته وخصوبته ولكن هذا الفرخ لايضعف العود بل يشده «فآزره» أو أن العود أزر فرضه فشده «فاستغلظ»

الزرع وضخمت ساقه وامتلأت «فاستوى على سوقه» لا معوجاً ومحنياً ولكن مستقيماً قوياً سوياً هذه صورته فى ذاته. فأما وقعه فى نفوس أهل الخبرة فى الزرع . العارفين بالنامى منه والذابل. المثمر منه والبار. فهو وقع البهجة والإعجاب . «يعجب الزراع» . وفى قراءة يعجب «الزراع» وهو رسول الله (ص) - صاحب هذا الزرع النامى القوى المخصب البهيج . وأما وقعه فى نفوس الكفار فعلى العكس. فهو وقع الغيظ والكمد «ليغيظ به الكفار» وتعمد إغاظة الكفار يوحى بأن هذه الزرعة هى زرعة الله . أو زرعة رسوله ، وأنهم ستار للقدرة وأداة لإغاظة أعداء الله ! .

وهذا المثل كذلك ليس مستحدثاً، فهو ثابت فى صفحة القدر . ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيئ محمد ومن معه إلى هذه الأرض. ثابت فى الإنجيل فى بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون وهكذا يثبت الله فى كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة.. صحابه رسول الله (ص) فتثبت فى صلب الوجود كله، وتتجاوب بها أرجاؤه، لتحقق معنى الإيمان فى أعلى الدرجات وفوق هذا التكريم كله، وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً».. وهو وعد يجيئ فى هذه الصيغة العامة بعدما تقدم من صفتهم، التى تجعلهم أول الداخلين فى هذه الصيغة العامة .

مغفرة وأجر عظيم .. وذلك التكريم وحده حسبهم . وذلك الرضى وحده أجر عظيم ولكن الفيض الإلهى بلا حدود ولا قيود ، والعطاء الألهى عطاء غير مجذوذ. أ. هـ . ونهج نهجهم . وكذلك تحدث الكتاب العزيز عن وعد الله جل وعلا للمؤمنين المجاهدين فى سبيله بالجنة إذا استشهدوا وسجل ذلك فى التوراة والإنجيل والقرآن وجعل أنفسهم وأموالهم مع أنه سبحانه هو خالقها ثمناً للجنة فى قوله سبحانه (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم

الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١) .

قال المفسرون نزلت هذه الآية فى بيعة العقبة الكبرى التى إزداد فيها الأنصار على سبعين رجلاً عندما اجتمعوا فيها علي مبايعة النبى (ص) بالنصرة والتأييد له وحمايته فى كل من يتربص به شراً، وقال المبايعون إشترط يارسول الله لنفسك ولربك ماأحببت فاشترط (ص) حمايته مما يحمون منه أنفسهم .

وإشترط لربه الإلتزام بالشريعة وقتال كل من يقف فى سبيل الدعوة، قال الأنصار مالنا على ذلك؟ قال . الجنة - قالوا . ربح البيع والآية عامة فى كل من جاهد فى سبيل الله من أمه محمد (ص) إلى يوم القيامة وقدم الأنفس على الأموال للبدء بالإشراف الذى لاعوض له والأمر بالجهاد موجود فى كل الشرائع وقوله (ومن أوفى بعهده) إستفهام على سبيل النفى والإثبات، فيكون أسلوب قصر أى لاأحد أوفى من الله وأكد الوعد بقوله (حقاً) مبرزاً له فى صورة العهد لأنه أوفى وأوثق فى الوعد . ومعنى قوله (وذلك هو الفوز العظيم) الحصول على الربح التام والجائزة الكبرى بدخول الجنة .

لذلك الذى تقدم من آيات الذكر الحكيم نؤمن إيماناً جازماً بأن التوراة الأصل كتاب ربانى أنزله سبحانه على موسى عليه السلام . أما التحريف الذى طرأ عليها يجعلنا نوقن بأن مافى أيدى اليهود ليست هى التوراة التى أنزلها الله ونوقن بأن النسخة المنزلة غير موجودة الآن وكذلك نؤمن بأن التوراة الحالية الموجودة عند أهل الكتاب ليس لها سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام وقد دخلها التحريف فى غير تمييز بين الأصلى والمحرف لذلك لايصح الوثوق بها أو الاعتماد عليها ككتاب منزل من عند الله .

---

(١) التوبة آية ١١١ .

**محتويات التوراة :**

ينبغى أن نلقى شعاعاً من المعرفة حول أسفار التوراة الموجودة بين أيدى القراء وهى تحتوى على خمسة أسفار .

**أولاً : سفر التكوين :**

ويتضمن خبر خلق العالم وقصة خلق الإنسان الأول ويشتمل على قصة الخطيئة التى ارتكبها أبو البشر ونزوله إلى الأرض عقاباً له ثم حياة الأولاد وماجرى عليهم كقصة الطوفان، ونشأة الشعوب بعد ذلك وقصة إبراهيم وأسفاره الكثيرة ونسله وهم إسحاق ويعقوب وأولاد يعقوب وبخاصة يوسف وماجرى له إلي أن أصبح ذا شأن كبير فى مصر واستدعى إليه أباه وإخوته وبموت يوسف وينتهي هذا السفر.

**ثانياً : سفر الخروج :**

سمى بذلك لتناوله خروج بنى إسرائيل فى مصر ويحوى هذا السفر قصة بنى إسرائيل بعد يوسف وماعانوه من الفراعنة وظهور موسى وخروجه من مصر ويستمر هذا السفر فى قصص تاريخ بنى إسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن وفيه الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بيهوى إله بنى إسرائيل فى غيبة موسى .

**ثالثاً: سفر اللاويون أو الأحبار :**

وهم ينتسبون إلى أسرة لاوى أو ليفى ويحتوى هذا السفر على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام مثل كفارات الذنوب . إلا

الأطعمه المحرمة والأنكحة المحظورة ومثل الطقوس والأعياد والنذور والطهارة وكذلك يحتوى على كثير من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التى يستحق فى إتباعها الثواب ومن خالفها العقاب .

**رابعاً : سفر العدد :**

سمى بذلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بنى إسرائيل وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم ويحتوى كذلك على سيرة بنى إسرائيل فى برية سيناء ومابعدها فهو بذلك استمرار لما ورد فى سفر الخروج وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم والطقوس الكهنوتية والاجتماعية والمدنية وبه كذلك حديث عن حروب بنى إسرائيل ضد المدنيين وفى الإصحاح الثانى عشر من هذا السفر ثورة وسخط يبدوان من هارون ومريم إخوى موسى ضده لأن موسى تزوج من امرأة كوشيه .

**خامساً : سفر التثنية :**

ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم وفى هذا السفر عرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرام وعن نظام القضاء والملك عند بنى إسرائيل وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة كما تحدث عن انتخاب يوشع بن نون خلفاً لموسى وينتهى السفر بخبر وفاة موسى ودفنه فى جبال مؤاب.

وماسردناه من المحتويات السابقة وهو مايسمى عند اليهود بالتوراة وهى جزء من العهد القديم المشتمل على تسعة وثلاثين سفراً وماذكرناه هوالقسم الأول من تلك الأسفار والذى يشتمل كما ذكرنا

على التوراة التى يزعمون أنها التوراة الحقيقية المنزلة من عند الله وهذا كذب وافتراء يبطله ماأوردناه من أخبار وأنباء تحدثت عن الفترة التى كانت بعد موسى عليه السلام . ومعلوم أن التوراة كتاب خاص إنزاله بموسى عليه السلام وحده فكيف يتصور إشتماله على إخبار استخلاف يوشع بن نون خلفاً لموسى عليه السلام وغير ذلك فى اخبار بنى إسرائيل التى حدثت بعد وفاة موسى عليه السلام .

* راجـــع :

أ - مقارنة الأديان لأحمد شلبى ط السادسة صـ٢٤١ : صـ٢٤٣ .

ب - العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن الميدانى ط الثانية صـ٥٥٩، صـ٥٦٠، صـ٢٠٨ .

جـ - الإسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير لرمزى نعناعه الطبعة الأولى صـ٣٤، ٣٥ .

د - قصة الأديان : دراسة تاريخية مقارنة - رفقى زاهر الطبعة الأولى صـ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ثانياً : الزبـــور :

هو أحد الكتب السماوية الأربعة الواجب على كل مؤمن التصديق بها وقد نزل ذلك الكتاب الإلهى على داود عليه السلام . وهو مصدر على وزن مفعول مثل : قبول ، ويقال فيه زبور بضم الزاى أي مصدراً مثل : الشكور ومعناه الكتابة . ويسمي المكتوب : زبوراً، فيجمع على الزبر قال تعالي : «بالبينات والزبر»[1]

---

(١) سورة النحل آية (٤٤) .

قال القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن : (الزبور كتاب داود كان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولاحلال ، ولاحرام ، وإنما هى حكم ومواعظ، والزبر الكتابه، والزبور بمعنى المزبور، أى المكتوب كالرسول والحلوب ، وقرأحمزة «زبوراً» بضم الزاى جمع زبر كفلس وفلوس وزبر بمعني المزبور، كما يقال : هذا الدرهم ضرب الأمير أى مضروبه، والأصل فى الكلمة التوثيق يقال : بئر مزبورة ، أى مطوية الحجارة ، والكتاب يسمى زبوراً لقوة الوثيقة به، وكان داود عليه السلام - حسن الصوت فإذا أخذ فى قراءة الزبور إجتمع عليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته (أ. هـ) .

أقول من هنا نعلم أن الزبور هو : الكتاب المزبور أي المكتوب وكل كتاب على ذلك المعني اللغوى يسمى زبوراً. ويطلق على صحف داود عليه السلام وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع إليه وبعض الأخبار المستقلة. والزبور يسمى عند أهل الكتاب المزامير وعددها مائة وخمسون مزموراً. وليست كلها لداود بل بعضها يسنب إلى قورح إمام المغنين وبعضها ينسب إلي داود وبعضها ينسب إلى المغنين على الوتر وبعضها غير منسوب والكثير منها منسوب إلى داود ولايوجد فى الزبور أحكام ولاأوامر أو نواه أو تشريعات بل هو فى مجموعه يشتمل على حكم .

والزبور من حيث هو كتاب منزل من عند الله تبارك وتعالى على رسوله داود عليه السلام جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله (وأتينا داود زبوراً) [١] .

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣ .

«ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) (١)
وهذه الآية تدل صراحة على تفضيل بعض النبيين على بعض تلك الأفضلية لاتستلزم الإيمان بالبعض منهم والكفر بالبعض الآخر بل طاعتهم ومحبتهم والإيمان بهم جميعاً والتصديق برسالتهم أمر واجب على كل مؤمن أما من حيث رفعة منزلة بعضهم عند ربهم فى الدرجة فذلك أمر مرجعه إليه تبارك وتعالى وفي الآية إشارة إلى أنه لايستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء وخص الزبور بالذكر لأنه متضمن البشارة بمحمد (ص) وفى ذلك رد على اليهود المكابرين القائلين لانبى بعد موسى ولاكتاب بعد التوراه.

ومن الآيات الواردة فى الكتاب العزيز المتضمن لذكر الزبور مضافة إلى ماسبق قوله جل وعلا :

«ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) (٢) .

ورد فى تفسير البحر المحيط . قيل الزبور الظاهر أنه زبور داود والذكر التوراه. وقيل الزبور يعم الكتب المنزلة والذكر اللوح المحفوظ والأرض قبل أرض الجنة وقيل الأرض المقدسة ترثها أمة محمد (ص) أ. هـ

ونرى أن القول الجدير بالاهتمام بأن وراثة الأرض لعباد الله الصالحين أمر سجله الله فى الزبور فإما أن يكون المراد بالزبور هو

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء أية (١٠٥) .

الكتاب المنزل على داود عليه السلام ويكون الذكر إذن هو التوراه السابقة على الزبور وإما أن يكون الزبور وصفاً لكل كتاب بمعنى أن يكون قطعه لكل كتاب الذى هو جزء فى المنهج الكلى للكتب الإلهية المثبتة فى اللوح المحفوظ فهو المرجع الكامل لجميع الكتب السماوية .

والمقصود بالاية عموماً هو بيان السنة الإلهية المقررة فى وراثة الأرض الكائنة فى عالمنا الدنيوى . فمن هم العباد الصالحون الذين يعمرونها ؟ وبماذا تكون عمارتهم لها ؟

وإجابة على هذين السؤالين نذكر تمهيداً يبين أنه تبارك وتعالى قد استخلفا على هذه الأرض بعمارتها وإصلاحها وتهيئتها للزراعة واستخراج كنوزها من المعادن المختلفة ماظهر منها ومالم يظهر لكونه مستوراً تحت باطنها ويكون ذلك التعمير أصلاً إلى الكمال المقدر لها فى العلم الإلهى وقد وضع سبحانه للبشر منهجاً متكاملاً ودستوراً تاماً يسيرون بمقتضاه فى علاقة بعضهم ببعض وفى علاقتهم بغيرهم في أمم الأرض التى لاتدين بهذا المنهج وفى علاقتهم بخالقهم .

فى هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقتها وحده هوالمقصود وإنما المقصود هو ذكر المذكور مع التركيز على تربية ضمير الإنسان وبناء نفسه وصقلها وتجليتها قبل عمارة الأرض ليبلغ بذلك قمة الرقى وتكون الروح مع المادة متجاورتان ظاهرتان بعيدتان عن الانحراف وبهذا لاينتكس بتحوله إلى حيوان فى وسط هذه الحضارة المادية. ولايهبط عن أوج إنسانيته العالية إلى درك أسفل حيوانى مادى تنعدم فيه القيم ويختفى الضمير .

وفى أثناء تعمير هذه الأرض قد يقود سفينة الحكم فيها جبارون طغاة ظالمون وقد يقود سفينتها كفار فجار يحسنون استغلال

قوى الأرض وطاقتها استغلالاً مادياً. ولكن هذه تجارب مؤقتة عابرة وفى نهايتها تكون الوراثة للعباد الصالحين، إذا حكموا المنهج الإلهى بزيادة الإنتاج المقرون بالإيمان والعمل الصالح وحينما اجتمع إيمان القلب ونشاط العمل فى أمة، فهى الوارثة للأرض فى أية فترة من فترات التاريخ . وإذا تخلف هذان العنصران عن زيادة الإنتاج فإن الميزان يختل وقد تكون الغلبة للأخذين بالحضارة المادية المجردة عن الإيمان حينما يهمل المؤمنون فى العمل بهذا المنهج . فما على المؤمنين بهذا المنهج الإلهى إلا الأخذ بأسباب القوة مع متابعة العمل لزيادة الإنتاج ويكون ذلك مقروناً بتطبيق هذا الدستور والالتزام بجعل المنهج الإلهى رائدهم فى كل أحوالهم وسلوكياتهم ليتحقق وعد الله بوراثة الأرض للصالحين، ومن مجموع تلك الايات نستطيع القول بأن الزبور كتاب منزل من قبل الله جل وعلا فى أساسه وأصله لكنه قد طرأ عليه من التحريف وأصابه من التبديل ماأصاب الكتب السماوية السابقة فحدث له ماحل بالتوراة من ترك ومن إهمال وعصيان ونسيان خاصة بعد موت نبى الله سليمان عليه السلام وارتداد بنى إسرائيل إلى عبادة الأصنام قروناً عديدة وأزماناً متطاولة(١) .

ثالثاً : الإنجيل :

هو اسم للوحى المنزل على عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه وهو اسم معرب من الروميه وأصله «أنا نجيليوم» أى الخير الطيب أو البشرى فمدلوله مدلول إسم الجنس ولذلك أدخلوا عليه كلمة

---

(١) انظر الأديان فى القرآن - محمود بن الشريف الطبعة الرابعة ص١٤٠ .

التعريف فى اللغة الرومية . فلما عربه العرب أدخلوا عليه حرف التعريف، وذكر القرطبى عن الثعلبى أن الإنجيل من السريانية - وهى الأراميه (أنكليون) ولعل الثعلبى أثبته عليه الروميه بالسريانية لأن هذه الكلمة ليست سريانية ، وإنما لما نطق بها نصارى العراق ظنها سريانية أو لعل فى العبارة تحريفاً وصوابها اليونانية وهو عند اليونانيين (اووانيليون) أى اللفظ الفصيح وقد حاول بعض أهل اللغة والتفسير جعله مشتقاً من النجل وهو الماء الذى يخرج من الأرض وذلك تعسف أيضاً وهمزة الإنجيل مكسورة فى الأشهر ليجرى على وزن الأسماء العربية لأن فعيلاً موجودة بقلة ، مثل : ابزيم وربما نطق به بفتح الهمزة وذلك لانظير له فى العربية والإنجيل وهو ماأطلق عليه العهد الجديد[١] .

قال الألوسى[٢]: اختلف فى إشتقاق الإنجيل فقيل من النجل - بفتح فسكون وهو الماء الذى ينز من الأرض، ومن النجيل لما ينبت فيه ويلق على الوالد والولد وهو أعرف فهو ضد - كما قاله الزجاج، وهو من نجل بمعنى ظهر سمى به لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ وظاهر منه أو من التوراة وقيل : من النجل وهو التوسعة ومن عين نجلاء لسعتها لأن فيه توسعة مالم تكن فى التوراه إذ حلل فيه بعض ماحرم فيها ، وقيل : مشتق من التناجل، وهو التنازع، يقال : تناجل الناس إذا تنازعوا وسمى به لكثرة التنازع فيه - كذا قيل - ولايخفى أن أمر الاشتقاق والوزن على تقدير عربية اللفظين ظاهر

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير - محمد طاهر بن عاشور حـ٣ ص١٤٩ ط تونس.

(٢) روح المعانى حـ٣ ص٧٦، ٧٧.

وأما على تقدير أنهما أعجميان أولهما عبرانى والآخر سريانى وهو الظاهر - فلا معنى له على الحقيقة لأن الاشتقاق من ألفاظ أخر أعجمية مما لامجال لإثباته، ومن ألفاظ عربية كما سمعت استنتاج للضب فى الحوت فلم يبق إلا أن بعد التعريب أجروه مجرى أبنيتهم فى الزيادة والأصالة وفرضوا له أصلاً ليعرف ذلك . والاستدلال على عربيتهما بدخول اللام لأن دخولها فى الأعلام العجمية محل نظر - لأنهم ألزموا بعض الأعلام الأعجمية الألف واللام علامة للتعريف كما فى الأسكندرية - فإن أبا زكريا التبريزى قال : عن الحسن أنه قرأه بفتح الهمزة ، وأفعيل ليس من أبنية العرب (أ. هـ).

هذا والإنجيل فى أساسه كتاب إلهى منزل من قبل الله جل وعلا على رسوله عيسى عليه السلام وقد أمرنا سبحانه بتصديق الإنجيل المنزل غير المحرف حيث قال فى محكم كتابه (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراه والإنجيل من قبل هدى للناس[١]) .

والكتاب المقصود فى الآية القرآن بإتفاق المفسرين ولم يذكر تبارك وتعالى الرسولان المنزل عليهما التوراة والإنجيل للعمل بهما وشهرتهما . وقد تنزل القرآن الكريم على فترات زمنية بينما نزلت تلك الكتب السابقة جملة واحدة والآية المذكورة تنص صراحة على أن الإنجيل كتاب سماوى مثل التوراة لكن ماهو الإنجيل الذى صدق به القرآن وأمر المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتصديقه والإيمان به؟

---

(١) سورة آل عمران آية (٣) .

وإجابة على ذلك التساؤل نقرر صراحة أن الإنجيل الذى صدق به القرآن هو الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام بأصوله الصحيحة الأولي أما الأناجيل الحالية الموجودة عند أهل الكتاب فلا يعرف لها سند متصل يصحح نسبتها إلى عيسى عليه السلام . وأفضل ماتذكر تلك الأناجيل أنها مصنفات ومؤلفات تاريخية حول سيرة المسيح، تحتوى على وصاياه ومواعظه ومعجزاته وفيها الكثير من المغالطات والتناقضات وقد ورد فى القرآن الكريم وصف الإنجيل المنزل بعدة صفات نجملها فيما يلى :

**أولاً :** وصفه بأنه هدى ونور وبأنه كتاب مصدق لما ورد فى التوراة الصحيحة ودليل ذلك قوله تعالى : (وقفينا علي آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه فى التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (١) .

إن الله تعالى أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام ليكون دستوراً يسير الناس على هديه طوال حياتهم ولم يكن كتاب أحكام وإنما أحيلت أحكامه إلى شريعة التوراه وقد جاء مصدقاً لما تقدمه من التوراة فاعتمد شريعتها وحكم بها . وكان الإنجيل كتاب هداية ونور وموعظة ولكن للمتقين وحدهم دون غيرهم لأنهم هم الذين رقت قلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وتفتحت بصائرهم لرؤية الهدى والنور وقادتهم عقولهم بموعظته إلى طريق الله وأضاءت مصابيح هذه الكتب بما فيها من مواعظ فقادتهم إلى مشاهدة أنوار الحقائق الإلهية. أما قلوب الفجار فهى كالحجارة أو أشد قسوة لاترى نوراً

---

(١) سورة المائدة آية (٤٦) .

ولاتلين بموعظة ولاتذوق حلاوة كلمة فيها توجيه وإرشاد ولاتستجيب لصوت الحق ولاتتأثر بأدلة العقيدة. إن النور موجود ولكن لاتدركه إلا البصيرة النافذة ، وإن الهدى موجود ، ولكن لاتدكه إلا الروح الشفافة، وإن الموعظة موجودة ولكن لايلتقطها إلا العقل المستنير، وقد جعل الله فى الإنجيل هدى ونور ولكن لأهل الإنجيل فهو خاص بهم وليس رسالة عامة للبشر . شأنه فى هذا كشأن التوراه وشأن كل كتاب ورساله. ولكن ماطابق من شريعته - التى هى شريعة التوراه - حكم القرآن فهو من شريعة القرآن . كما فى القصاص .

قال أبو حيان[١] فى تفسيرها أن الله لما ذكر فيما قبلها أنه أنزل التوراه يحكم بها النبيون ذكر أنه قفاهم بعيسى تنبيهاً على أنه من جملة الأنبياء وتنزيهاً له عما يدعيه اليهود فيه وأنه من جملة مصدقى التوراه ، وتصديقه إياها بكون مقراً أنها كتاب منزل من الله حقاً واجب التصديق به قبل ورود النسخ إذ شريعته مغايرة لبعض مافيها وقوله : ٠وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور) معطوفة على قوله (وقفينا) وفيه تعظيم عيسى بأن الله أتاه كتاباً إلهياً والضمير فى : (مصدقاً لما بين يديه) عائد على الإنجيل والمعنى أن عيسى وكتابه الذى أنزل عليه هما مصدقان لما تقدمهما من التوراة فتظاهر على تصديقه الكتاب الإلهى المنزل والنبى المرسل ومعنى كونه فيه هدى أن يشتمل على دلائل التوحيد وتنزيه الله عن الولد والصاحبه، وإحياء أحكام التوراه ، والنور هو مافيه مما يستضاء به إذ أن فيه بيان أحكام الشريعة وتفاصيلها وجعله هدى مبالغة فيه إذ أن كتاب الإنجيل مبشراً برسول الله (ص) والدلالة على نبوته ظاهرة ووصفه

---

(١) البحر المحيط - أبو حيان الأندلسى حـ٣ ص٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠.

بالموعظة لاشتماله على نصائح وزواجر بليغة وخصها بالمتقين لأنهم هم الذين ينتفعون به .

**ثانياً :** إشتماله على طائفة من الشرائع والأحكام الإلهية ودليل ذلك ماورد فى قوله جل شأنه (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) [١] .

فالقاعدة هى الحكم بما أنزل الله دون سواه ، وهم واليهود كذلك لن يكونوا على شئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل قبل الإسلام - وماأنزل إليهم من ربهم - بعد الإسلام - فكله شريعة واحدة هم ملزمون بها شريعة الله الأخيرة فهى الشريعة المعتمدة وهذه الآية أمر منه جل ذكره لاتباع عيسى عليه السلام بأن يطبقوا أحكام الإنجيل وينفذوا تعاليمه المنزلة. وقد كان الأمر منفذاً فى عهد عيسى عليه السلام إلى مجيئ القرآن وشريعة خاتم المرسلين ثم نسخت بشريعته جميع الأديان والأحكام الإلهية السابقة فمن لم يطبق الأحكام الشرعية الإسلامية فهو فاسق خارج عن طاعته تعالى والأحكام الموجودة فى الإنجيل بعضها مكمل وبعضها معدل للأحكام الموجودة فى التوراة .

* **ثالثاً :** بشارة الإنجيل بالرسالة المحمدية وصدق صاحبه والإشاده بالصفات الكريمة ودليل ذلك قوله سبحانه (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٤٧) .

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) (١) .

- وقد سبق تفسيرنا لهذه الآية عند إيرادها أثناء حديثنا عن التوراة فليراجع .

* رابعاً : الإشادة بصفات الصحابة رضى الله عنهم :

ودليل ذلك قوله جل ذكره (ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) (٢) .

والشطء خروج الزرع ، وهو ماخرج منه وتفرع على شاطئيه أى جانبيه فآذره : أى قواه - فهذا النص يدل علي أن مثل أصحاب محمد فى الإنجيل حول رسولهم كزرع يبدأ صغيراً ضعيفاً فتظهر فروخه من حوله فتحميه فيشد الزرع ويستغلظ فيعقب ذلك - بسرعة - ويستوى الزرع على سوقه ، يرى فيه الزراع عجباً عجاباً لسرعة نموه وشدته وقوته وهكذا إيمان أصحاب محمد من حوله وكذا إنتشر سلطانهم وإمتد ظلهم، بسرعة ملأت قلوب الباحثين فى التاريخ الإنسانى عجباً .

---

(١) الأعراف آية ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) الفتح آية (٢٩) .

**خامساً : الحث على الجهاد بالنفس والمال:**

قال تعالى : (إن الله إشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى يايعتم به وذلك هو الفوز العظيم[١].

فهذه الأية تنص على أن الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال أمر وارد فى الإنجيل المنزل الذى لم تمسه أيدى المحرفين ولم تنله بالتغيير والتبديل أباطيل المضلين الكافرين وقد وعد جل وعلا المجاهدين المخلصين بالأجر الجزيل والخير العظيم فى الدنيا وبالنصر الكريم وفى الآخرة بمعية الشهداء والصالحين وهذا الذى ورد فى الإنجيل وأيدته التوراة وعززه القرآن على خلاف ماهو شائع مشهور من أن المسيحية ليس فها جهاد فى سبيل الله .

ومن النصوص السابقة وماأوردناه من تفسيرها ندرك بوضوح أن الإنجيل الأصلى كتاب سماوى ثبتت نسبته إلى عيسى عليه السلام وثبت إنزاله من قبل المولى جل وعلا ونستطيع القول بأن من ينكر الإنجيل أو غيره من الكتب السماوية الأساسية كافر لاشك فى ذلك إذ إنكاره لم يستند إلى دليل ولم يقم عليه شاهد أو برهان من عقل أو نقل .

---

(١) سورة التوبة أية (١) .

- كتب العهد الجديد -

إنتهى رأى الباحثين فى أسفار العهد الجديد إلي أن عددها سبعة وعشرون سفراً وهذا هو ما أعتقده أساطين البحث فى الديانة المسيحية كما ذكروا أن هذه الكتب والأسفار موحى بها إيحاء معنى لإيحاء لفظ وأطلق العرف النصرانى علي مجموع تلك الأسفار (العهد الجديد) نظراً للإطلاق اليهودى على الأسفار التى قبل عيسى بالعهد لقديم ومعنى كلمة عهد يقصد بها الميثاق فكأن الإطلاقين الموصوفين بالعهد القديم والعهد الجديد يقصد بكلمة عهد فيها المواثيق التى أخذها الله على الناس، فالمجموعة الأولى ترجع إلى عهد موسى عليه السلام والمجموعة الثانية تبدأ بعهد جديد هو ظهور - المسيح عليه السلام .

وأسفار العهد الجديد مكونة من مجموعات ثلاثة وسفرين وتلك المجموعات هى :

أولاً : مجموعة الأناجيل وعددها أربعة :

ثانياً : مجموعة الرسائل المنسوبة إلى بولس . وعددها أربع عشرة رسالة .

ثالثاً : مجموعة الرسائل الكاثوليكية . وعددها سبع رسائل .

أما السفران فهما :

سفرى أعمال الرسل للوقا ، ورؤيا يوحنا ليوحنا

## (مؤتمر نيقيه والاناجيل الأربعة)

الذى يعنينا دراسته فى بحثنا هنا هو الأناجيل الأربعة المشهورة بالإضافة إلى إنجيل برنابا ومنزلة الأناجيل فى الديانة المسيحية بمذاهبها المختلفة منزلة الرأس من الجسد إذ هى أساس

التدين بتلك الملة وعمدتها ومرجع المؤمنين بها عندما يرجعون إليه للتحلى بما فى الإنجيل من مواعظ وأخلاق وإذا كانت شخصية المسيح وماأحاطوها به من أفكار هى شعار المسيحية فإن هذه الأناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه فى اعتقادهم وقيامه من قبره بعد ثلاث ليالى ثم رفعه بعد أربعين ليلة وهى بهذا تحتوى على الاعتقاد بإلوهية المسيح فى زعمهم والصلب والفداء أى أنها بذلك تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح وأنهم مجموعة فى كتب العهد الجديد هى مجموعة الأناجيل الأربعة كما ذكرنا وهم متى - ومرقس - لوقا - يوحنا .

وإنا نسأل كل مؤمن بالنصرانية على إختلاف مذهبه قائلين له إذا كنت تؤمن بأن الإنجيل المنزل من قبل المولى عز وجل إنجيلاً واحداً فكيف صارت الأناجيل أربعة ؟

ومن المعلوم عند أهل الملل والنحل غير اليهود أن انجيل عيسى لم يكتب فى حياته على الأرض إذ تركه أتباعه دون تدوين وكانوا يعتمدون على ذاكرتهم فى كل تعاليمه وعظاته ومبادئه وإرشاداته ومن الأمور الثابتة تاريخياً أن عيسى قد قبض عليه وحوكم أمامه المجلس اليهودى الأعلى واعتقد الجميع من أتباعه وغيرهم من اليهود بأنه قد صلب وقام اليهود باضطهاد المسيحين بعد صلبه . فى زعمهم وتعذيبهم وواجهوا الدعوة المسيحية بالإنكار كما واجهوا أصحابها بشدة التنكيل حتى وصل بهم الأمر إلى صب القار المغلى على جسدهم وحرمت الدعوة إلى المسيحية بأمر الأباطرة وكانت طرق التعذيب لمن يدينون بدين المسيح تختلف فى شدتها وبأسها حسب شطط الأباطرة وظل الأمر كذلك طيلة قرون ثلاثة إلى أن أعلن قسطنطين السماح بإظهار دين المسيحية سنة ٣٢٣م فى أثناء هذه

القرون الثلاثة المضرمة من نار الفتنة والمشتعلة بمواقد الاضطهاد والتعذيب . كانت هناك أناجيل تؤلف سراً وكل إنجيل منها يقوم بتأليفه جماعة ينتسبون إلى قائد دينى من الحواريين الذين كانوا يعيشون فى زمن عيسى وتزعم تلك الجماعة أن انجيلها معتمد على شخصها الذى تنتسب إليه والذى كان فى الحواريين الأربعة المشهورين المذكورين سابقاً .

وكل جماعة من تلك الجماعات المسيحية لاتعلم شيئاً عن أمر الجماعة الأخرى ومايحتويه انجيلها ولاتدرى ماكتب عن السيد المسيح ولاتتخيل تصورات الجماعة الأخرى لإستحالة الاتصالات بينهم خوفاً من السلطة الرومانية الوثنية الحاكمة وعندما طمأنهم الحاكم قسطنطين على دينهم لهدف سياسى ظهر المتدينون فرقاً شتى بأناجيل بلغت السبعين إنجيلاً وكان كل انجيل منها يختلف عن الآخر فى شرحه لحياة المسيح ودعوته والتقارب بينها قليل والتابعد كثير الأمر الذى دعا الامبراطور إلى مشاورة بعض القساوسة إلى عقد أول مجمع كهنوتى مسيحى لأخذ رأيهم فى المسيح والعقيدة المسيحية وهذا المؤتمر هو المعروف تاريخياً باسم «مجمع نيقيه» عام ٣٢٥ م فى بلدة نائس وإنتهى المؤتمر إلى مايأتى :

أولاً : وضع الجزء الأول من قانون الإيمان .

ثانياً : حرمان كل من يخرج عن هذه العقيدة .

ثالثاً : وضع عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الأكليروس .

رابعاً : الحكم على أريوس بحرمانه ونفيه وحرق كتبه التى نادى فيها ببدعه وهى أن (يسوع) المسيح ليس أذلياً وإنما هو مخلوق من الأدب وأن الابن ليس مساوياً للأب فى الجوهر .

خامساً : الإتفاق على أن - مرقس - متى - لوقا - يوحنا هى الأناجيل المعترف بها .

ولايخفى عليك عزيزى القارئ أن لفظ الإنجيل فى الأصل مختص بهؤلاء الأربعة وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد وهذا القسم من الكتب يقولون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام .

وهذه الأناجيل الأربعة هي التى تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ريصان إنجيل يخالف هذه الأربعة مخالفة تامة وهو الصحيح فى زعمهم .

وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنصارى ينكرونه وهناك إنجيل إشتهر باسم التذكرة وهو إنجيل سرى ولقد كثرت الأناجيل كثرة هائلة وأجمع على ذلك مؤرخوا النصرانية إلى أن عقد مجمع نيقيه وظهرت الأناجيل الأربعة التى يعترفون بها. وقد يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل - متى - مرقس - لوقا - يوحنا - قبل آخر القرن الثالث وقد ذكرنا قبل ذلك السر فى هذا وهو إشتمالها على الاعتقاد بألوهية المسيح وصلبه وقيامه من قبره بعد ثلاث ليالى ورفعه بعد أربعين ليلة وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينيوس فى سنة ٢٠٩ ثم جاء من بعده كليمنس ولم تكتفى الكنيسة باختيار هذه الأناجيل بل اصطلح الناس على قبولها لاعتقادهم صحتها ورفض غيرها وتم لهم مااتفقوا عليه. فصارت هذه الأناجيل هى المعتبرة دون سواها .

وهذه الأناجيل التى ذكرناها لم يملها المسيح ولم تنزل عليه بوحى من السماء ولكنها كتبت من بعده كما أشرنا إلى ذلك سابقاً وإشتملت على ذكر قصص (يوحنا المعمدان) يحيى والمسيح وماكان منه وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب وماحدث منه من خوارق للعادات وماكان يجرى بينه وبين اليهود من حوادث لها شأن كبير وماكان يلقيه من أقوال وخطب وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ثم أخبار التآمر عليه وإلقاء القبض عليه والحكم عليه بالموت صلباً ، : - وبالجملة هى تشتمل على أخبار المسيح وصلواته وأقواله وعجائبه من بدايته إلى نهايته فى هذا العالم .

وهذا هو قلب الديانة النصرانية وأساسها لأن فيها البذره الأولى للقول بألوهة المسيح وعقيدة النصارى فيه وإليك دراسة مفصلة عن كل واحد من هذه الأناجيل حتى تقف على محتواها وماتضمنته من أباطيل وأكاذيب .

وفيما يلى تفصيل وشرح لكل إنجيل فيها .

**اولاً : إنجيل متى :**

ينسب هذا الإنجيل إلى متى وهو أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر ويسميهم المسيحيون رسلاً وكان قبل إتصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وكان اليهود ينظرون للجابى نظرة ازدراء لاتصافه عادة بالظلم والعنف والقسوة على الناس فى جمع الضرائب فضلاً عن أنه معين من قبل الدولة الرومانية المغتصبة التى تحكم بالقهر والجبروت دون رضا الشعب وقد اختار متى السيد المسيح ليكون أحد تلاميذه كما جاء فى إنجيله .

ولما رفع المسيح تجول متى فى أنحاء البلاد داعياً إلى المسيحية . ومات فى سنة ٧٠ ميلادية فى بلاد الحبشة على إثر ضرب مبرح أوقعه به أحد أعوان ملك الحبشة وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢ فى الحبشة بعد أن قضى بها نحو ٢٣ سنة داعياً إلى المسيحية مبشراً بها واتفق جمهورهم على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية ، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة من إنجيله كانت باليونانية ولكنهم اختلفوا فى تاريخ تدوينه وفيمن ترجمه إلى اليونانية وإذا حاول الإنسان معرفة تاريخ تدوين إنجيله وترجمته يرى أن ميدان الخلاف فسيح متسع وقد ذكر ابن البطريق أنه دون فى عهد قلوديوس قيصر الرومان ولم يحدد السنة التى كتب فيها .

وذكر نورتين مترجم إنجيل (متى) أنه كان حاطب ليل لايميز بين الرطب واليابس فقال جامعوا تفسير هنرى وإسكان أن هذا الإنجيل ماكان متواتراً فى القرن الأول وأن التحريف كان شائعاً فى هذا القرن لدى المسيحيين .

ثانياً : (إنجيل مرقس) :

يقول المؤرخون أن إسمه يوحنا ويلقب بمرقس ولم يكن من الحواريين الإثنى عشر الذين تتلمذوا على يد المسيح واختصهم بالقرب منه وهو من أصل يهودى وكانت أسرته بأورشليم أثناء ظهور المسيح عليه السلام . وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى زعمهم بعد رفعه وألهموا بالتبشير والدعوة إلى المسيحية أما عن اللغة التى دون بها إنجيل مرقس فهى اليونانية وأجمع الباحثون والنقاد على ذلك ولم يخالف منهم أحد وذكر صاحب قاموس الكتاب المقدس أن هذا الإنجيل كتب باليونانية والحق أنه يوجد إختلاف فى شخص المحرر لهذا الإنجيل .

فإبن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذى كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس لأنه كتبه بعد موته وليس بين أيدينا مايجعلنا نميل إلى ترجيح أحد الرأيين بل أنهم فى تاريخ تأليفه قد اختلفوا .

وتستطيع القول بأن انجيل مرقس ليس له اتصال من قريب أو من بعيد بالوحى أو الإلهام وأنه من تأليف رجل لم ير المسيح ولم يستمع إليه . ومات مرقس مقتولاً بالأسكندرية على يد الوثنينى فى عهد نيروز سنة ٦٨ م أو سنة ٦٢ م .

والنقاد يميلون إلى اعتبار إنجيل مرقس أصح ماكتب عن شخص عيسى وأعماله وأقواله وكان مرقس ومعلمه بطرس ينكران إلوهية المسيح وعلى هذا فأى كلام عن ألوهية المسيح بهذا الإنجيل ليس إلا تحريفاً أدخله عليه الكتاب المتأخرون .

## ثالثاً : إنجيل لوقا

يقال أن ميلاد لوقا كان فى إنطاقية وقد درس الطب ونجح فى ممارسته وهو ليس من أصل يهودى وقد رافق بولس فى أسفاره وأعماله وجاء فى رسائل بولس مايشيرإلى هذه الرفقة وتلك الملازمة ومثله ورد فى تاريخ ابن البطريق ويستنبط القسيس ابراهيم سعيد من كون لوقا طبيباً معانى كثيرة وعديدة تجعل إنجيله فى الذروة العليا بين أقرانه من الأناجيل الأخرى لأن الرومان لم يسمحوا فى ذلك الوقت بممارسة مهنة الطب إلا بعد إجتياز عدة امتحانات على جانب كبير من الصعوبة والدقة والخطورة ولكونه طبيباً وصف ولاده المسيح من غير أب بأنها شئ طبيعى والباحثون غير متفقين على أصل لوقا فمنهم من قال أنه أنطاكى ولد بأنطاكية ومنه من قال أنه

رومانى ولد بإيطاليا ومنه من يذكر أنه طبيب والبعض يذكر أنه كان مصوراً وقد اتفقوا جميعاً على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه ولم يكن من تلاميذ المسيح ولامن تلاميذ حواريه ويختلفون أيضاً فيمن كتب لهم هذا الإنجيل ويذكر القسيس إبراهيم سعيد أن انجيل لوقا كتب لليونان وانجيل متى كتب لليهود وإنجيل مرقس كتب للرومان وإنجيل يوحنا كتب للكنيسه العامة ويقول ابن البطريق أن لوقا كتب إنجيله لرجل شريف من علماء الروم يقال له تاوفيلا والبعض يقول أن توفيلا كان مصرياً لايونانياً فهو بهذا قد كتب للمصريين لاللونانيين ويقول صاحب قاموس الكتاب المقدس أن الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم ويرجح أنه كتب فى قيصيرية فى فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨، ٦٠ من الميلاد .

- خلاصة القول إن الباحثين قد اختلفوا فى شخصية كاتبه وفى صناعته وفى القوم الذين كتب لهم فى تاريخ تأليفه ولم يتفقوا إلا علي أنه ليس من تلاميذ المسيح ولامن تلاميذ تلاميذه إلا على أنه مكتوب باليونانية .

رابعاً : يوحنا

إن لذلك الإنجيل خطر عظيم وشأن كبير بين أقرانه من الأناجيل الأخرى لأنه اشتمل على الفكر والذكر الصحيح لألوهية المسيح والقول بالألوهية للسيد المسيح يعتبر ركناً ركيناً فى العقيدة المسيحية والقول بالتثليث والأقانيم الثلاثة هو شعار المسيحية . وهو الموضع الذى تخالف قولهم أن هذا الإنجيل منسوب إلى يوحنا ابن زيدى الصياد والذى كان يحبه السيد المسيح متى إنه استودعه والدته وهو فوق الصليب على حد قولهم وقد نفى فى أيام الاضطهادات الأولى

إلى بلده أفسس ومكث مشبراً بها متى وافته المنية شيخاً هرماً وتوجد طائفة أخرى من الباحثين المسيحيين المحققين ينكرون أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري لايمت إليه بصلة روحية وهذا الإنكار بدأ فى آخر القرن الثانى الميلادى وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ولم يرد عنه أنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتماً تلميذه بوليكارب ولأعلم بذلك تلميذه أرينيوس .

وقد اختلفوا فى العام الذى دون فيه ذلك الإنجيل كما اختلفوا فى العام الذى دون فيه غيره من الأناجيل .

والحقيقة التى لايخالطها شك أنه ليس لدى الباحثين تاريخ محدد لتدوين هذا الإنجيل والغرض الذى كتب من أجله هذا الإنجيل أن بعض الناس قد سادت عندهم وسيطرت عليهم فكرة إنكار الألوهية للمسيح وكان الكثيرون من فرق الشرق تقرر هذه الحقيقة وتنفى عن المسيح الألوهية فطلب القائلون بألوهيته من يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن هذه الألوهية فكتبه في آخر حياته بناء على ذلك الطلب الذى تقدم به إليه أساقفة أسيا وغيرهم .

قال صاحب مرشد الطالبين إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية لأجل أن يوحى به روح القدس إليه بمعناه ومن ذلك نستطيع القول بأن كتابة هذا الإنجيل كانت بغرض إثبات ألوهية المسيح التى إختلفوا فيها ولعدم وجود نص بألوهيته فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، يهمنا إستنباط أمرين

أ - أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها مايدل على ألوهية المسيح فمعنى هذا أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان وليس فيها نص على ألوهية المسيح .

ب - أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الرابع الذى يدل عليه ويصرح به ولما أرادوا أن يجتمعوا على خصومهم إتجهوا إلى يوحنا فكتب إنجيله .

ومن ذلك ندرك أن إنجيل يوحنا كتب إلهاماً من قساوسة أسيا لابإلهام من روح القدس .

**الأناجيل الأربعة فى ميزان البحث :**

**خلاصة القول :**

الذى نخرج به بعد عرضنا للأناجيل الأربعة السابعة التى تعرف بكتب العهد الجديد هو التركيز على محتوياتها التى يعرف منها أخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة . وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض والبشارات بالنبيين اللاحقين وبالمسيح وفيها توجد أدعية متوارثة تساعد على أداء العبادات والقيام بالطقوس إلا أنها كلها لم تكن نازلة على المسيح عليه السلام وغير منسوبة إليه .

ومن خلال حديثنا عن الأناجيل الأربعة السابقة ونسبتها إلى أصحابها يتبين مايلى : -

(١) إن (متى) تكاد الصلة تنقطع بينه وبين الإنجيل المنسوب إليه بدخول ترجمته ومترجمه من العبرية إلى اليونانية وهو مجهود لم يعرف اسمه وسائر أحواله كما لايعرف ماإذا كانت هذه الترجمة صادرة عن إنجيل (متى) أو لا .

ولم يذكر أنه رأى إنجيل (متى) العبرى أو قارنه بترجمته وذلك لفقدان الأصل قبل ظهور الترجمة على أنه من الراجح أن هذا الإنجيل من عمل أتباع متى .

(ب) ونستطيع إدراك أن إنجيل (مرقس) عبارة عن ذكرياته مع أستاذه (بطرس) وقد كتبه مرقس بالتماس من أهل روما وأنه لم يكن من الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام .

(جـ) وإنجيل (لوقا) لم يتجاوز كونه عبارة عن رسالة أو مجموعة رسائل سرد فيها وقائع الحوادث تلقتى علمها ممن سبقه مستخلصة ومصفاه من حقائق مخلوطة بإضافة روايات أخرى وانتقاداتها وقبولها أو ردها وتحتاج فى ذلك إلى ضابط لزمام الفكر مع فقدان ذلك الضابط وهذا فضلاً عن أن لوقا ليس حوارياً ولاتلميذ للمسيح .

(د) وقد أدركنا منذ قليل عند دراسة إنجيل يوحنا أنه الذى قام بوضع الإنجيل المنسوب إليه وأجمعت آراء الباحثين على أن إنجيله من كلام أحد طلبة المدرسة الاسكندرانية الفلسفية وعلى فرض تسليمنا جدلاً بوضعه له فقد عرفنا أنه من مقترحات أساقفة أسيا عليه وقد ألفه بعد تجاوزه للمائة سنة وكانت ذكرياته عن المسيح فى أغلب الظن قد بهتت فضلاً عن كونه قد اختلط آخر عمره كما تقول لجنة التوفيق القبطية .

## إنجيل برنابا : -

من المعلوم أن الأناجيل الأربعة السابقة أناجيل معترف بها لدى الكنيسة على اختلاف مذاهبها وإتجاهاتها ومعتبرة لدى المسيحيين على إختلاف طوائفهم وهناك إنجيل آخر هو إنجيل برنابا الذى يمكن أن يكون حلقة إتصال وهمزة وصل بين المسيحيه والإسلام أو أنه الحلقة الضائعة بين هاتين الديانتين والكنيسة لاتعترف بهذا

الإنجيل وتحاربه بكل وسيلة ممكنه وهو من تأليف الحوارى برنابا وإن لم يكن منهم فإنه معدود من الصف الأول بين أتباع المسيح وقد ورد اسمه فى رسالة أعمال الرسل مرات عديدة وقد ترجم هذا الإنجيل إلى اللغة العربية فى مطلع القرن العشرين وهناك أوجه خلاف بينه وبين الأناجيل الأخرى فيما يأتى :

(١) إن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم .

(٢) إن الابن الذى عزم ابراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لاإسحاق .

(٣) إن المسيح المنتظر هو يوسع بن محمد وذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر فى فصول مطوله وقال أنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً فوق بابها بأحرف من نور (لاإله إلا الله محمد رسول الله) .

(٤) يسوع لم يصلب وإن الذى صلب هو يهوذا الذى شبه به .

(٥) يثبت كثيراً من الأصول الإعتقادية المتفقة مع أصول الشرائع الربانية التى لم تبعث بها يد المحرفين .

والغرض الذى دفعه إلى تدوين هذا الإنجيل هو رغبته فى خلاص البشر ورغبته فى عدم إهلاكهم بسبب إغواء الشيطان وإضلاله ويبين برنابا أن إدعاء إلوهية المسيح بدأفى حياة المسيح نفسه بسبب معجزاته واتجاهها إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمه وغير ذلك من الخوارق التى لم يكن للبشر عهد بها .

وهكذا يتوافق الإنجيل فى أغلب قضاياه مع القرآن الكريم ويزيل الهوه التى ابتدعها بولس والتى أبعدت المسيحية عن الأديان

السماوية والذى أصدر الأمر بتحريمه الباب جيلاسيوس الأول عام ٤٩٢م[١] .

**رابعاً : القرآن الكريم وعلاقته بالكتب السماوية السابقة والحالية:**

هو الكلام المعجز المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه المكتوب فى السطور المحفوظ فى الصدور . المنقول عنه بالتواتر وهو آخر الكتب السماوية نزولاً الذى بقى منذ نزوله محفوظاً بحفظ الله وسيظل كذلك إلى قيام الساعة كما فى قوله جل وعلا (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٢] .

ويشمل ذلك حفظه من التلاشئ والضياع وحفظه من النسيان وحفظه من الزيادة والنقصان وحفظه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها فى حياة النبى (ص) فاستقر بين الأمة بسمع من النبى (ص) وصار حفاظه بالغين عدد التواتر فى كل عصر ومصر[٣] .

وهو الكتاب المهيمن على ماسبقه من كتب إلهية مصداقاً لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب

---

(١) انظر :
أ - العقيدة الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حسنى الميدانى ص٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ .
ب - مقارنة الأديان - لأحمد شلبى ص٢١٥ - ٢٢٤ .
جـ - قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء - د. رؤوف شلبى ص١٧٧ - ١٨٤.

(٢) سورة الحجر آية رقم (٩) .

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد بن طاهر بن عاشور حـ١٤ ص٢١ط تونس.

ومهيمناً عليه) [١] .ولهذا الكتاب المجيد قدر جليل وشأن عظيم بين الكتب السماوية الأخرى وفى نفوس كل المؤمنين به وبمن أنزل عليه ودائماً إذا كان الشئ له قدر وشأن وشرف فإنه يسمى بأسماء عديدة ويوصف بأوصاف كثيرة والقرآن الكريم له مكانه عليا وهو الذروه الكبرى لذا سمى بأسماء عديده .

أ - الفرقان

أى الذى يفرق بين الحق الباطل فى كل الأمور (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) [٢] .

ومعنى تبارك : تنزه وتقدس وعبر بقوله نزل دون أنزل لنزوله مفرقاً على ثلاثة وعشرين عاماً بخلاف الكتب السابقة فإنها كانت تنزل جملة واحدة . فنزول القرآن أية بعد أية أبلغ وأشد اعتناء بمن أنزل عليه وكان ينزل منجماً تبعاً للحوادث ليكون ذلك أدعى إلى حفظه والتثبت منه وفهمه . ووصف النبى (ص) بالعبودية لأنها أرفع الصفات وأكملها وفى ذلك من التشريف والتكريم والتعظيم له (ص) مالايخفى ليكون النبى أو القرأن للعالمين جميعاً فى كل زمان ومكان نذيراً وسراجاً منيراً ينذر الكافرين ويهدى المؤمنين ومعنى الآية تنزه ربنا وتقدس وهو لفظ يوحى بالبركة الإلهية الشاملة لجميع الكائنات علويها وسفليها كما يشعر بالفيض والزيادة والعلو والرفعة لهذه الذات المقدسة . ولم يذكر الاسم الظاهر وهولفظ الجلالة واكتفى بالاسم الموصول لإبراز صلته وإظهارها فى هذا المقام وهى تنزيل الفرقان على

---

(١) سورة المائدة آية ٤٣ .

(٢) سورة الفرقان آية (١) .

عبده . فالقرآن والرسالة كلاهما موضوع الجدل فى هذه السطور الكريمة من قبل الكافرين فأبرزهما لإثبات أنهما من عنده جل وعلا. وقد سمى الأول فرقاناً لتفريقه بين الحق والباطل والهدى والضلال والنور والظلمة والإيمان والكفر ووصف الرسول بصفة العبودية لأنها أشرف الصفات وأكملها وأضاف العبودية إليه لزيادة التشريف والتكريم. فعبودية المخلوق للخالق رفعه وفضل لأن خير الرب يعود بالنفع على العبد بخلاف عبودية المخلوق لمخلوق مثله ففيها مهانة وتحقير لأن خير العبد حينئذ يعود على سيده فوصف الحق هنا نبيه بالعبودية فى مقام تنزيل القرآن تشريف فوق تشريف كما وصفه بقوله «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا»[١] وقوله «وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»[٢]. وقوله «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً»[٣] وقوله «الحمد لله الذى نزل على عبده الكتاب»[٤] وقوله «وأنه لما قام عبد الله يدعوه»[٥].

فالوصف بالعبودية فى هذه المواضع يشعر بالعلو والرفعة وأن هذا المقام أعلى مايصل إليه واحد من بنى الإنسان وأن العبد كلما إرتفعت بشريته ارتقت عبوديته ثم يختم الحق الآية الكريمة بذكر الغاية من البعثة المحمدية وهى كونه عليه الصلاة والسلام نذيراً للعالمين وهو ختام ينبئ عن عالمية الرسالة الخاتمة منذ الوهلة الأولى

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣ .
(٢) سورة الأنفال آية ٤١ .
(٣) سورة الإسراء آية ١ ..
(٤) سورة الكهف آية ١ .
(٥) سورة الجن آية ١٩ .

لأن الآية مكيه وفيه رد على من يقولون من العلمانيين إن الإسلام ديانة محلية، فهو رسالة عالمية شاملة ووسيلته وسيلة إنسانية كاملة وغايته نقل الناس جميعاً من حلكة الظلمات الدامس إلى ألق النور المضيئ في أعماق هذه النفس الإنسانية . فمنذ اللحظات الأولى للبعثة المحمدية والقرآن يبشر بأنه رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان .

(ب) الذكر

قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) [١] .

الإشارة إلى القرآن الكريم فهو الذكر الحكيم وهو الذى يعود على كل من يتلوه ويطبقه بالخير والبركات الدنيوية والأخروية وليس هذا الذكر بدعاً ولاعجباً إنما هو أمر مسبوق وسنة معروفة . فماذا تنكرون منه وقد سبقت به كل الرسالات وأشارت إليه كل الكتب السماوية السابقة.

والإشارة إلى القرآن الكريم أى هذا الكتاب ذكر مبارك وتذكره لأولى البصائر وتذكير بالخالق سبحانه ونور وهداية لكل مؤمن فيه الخير والمعرفة والنجاه والسعادة والفوز والفلاح . وفيه أسباب سعادة الدنيا والآخرة لأنه علاج لكل داء . ودواء لكل مرض .

(جـ) التنزيل :

قال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين) [٢] .

---

(١) سورة الأنبياء ٥٠ .

(٢) سورة الشعراء من آية ١٩٣ - ١٩٦ .

وبديهى أن الضمير المتصل الغائب فى (وإنه) يعود على القرآن ووضع الضمير موضع الاسم الظاهر لأنه معلوم فى السياق . والروح الأمين جبريل عليه السلام . نزل بهذا القرآن على قلب هذا النبى الأمين - فهو أمين على تبليغ هذا الكتاب دون زيادة أو نقص وأمين على تفسيره والعمل به وتعليم أمته له. نزل به على قلبه ليكون من المنذرين لأمته به .

واللسان العربى هو لسان قومه الذين يدعوهم به فيدركون علو أسلوبه ويعرفون أنه ليس مثل كلام البشر ويوقنون بأنه وإن كان بلغتهم إلا أنه بنظمه وبمعانيه، وبمنهجه، وبتناسقه . ينبئ أنه من مصدر غير بشرى بيقين .

وتعدد الأسماء يدل على شرف المسمى وإنه كلام رب العالمين ووحيه بلفظه ومعناه تلقاه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل وتلقاه النبى (ص) عن جبريل - وتلقاه الصحابة عن النبى (ص). والقرآن الكريم قطعى الثبوت فى كل عصر ومصر يتمسك السعداء بتلاوته وحفظه وتجويده وتفسيره والتعبد بأحكامه والتأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ويتمسك بمبادئه المسلمون فى جميع أنحاء الأرض على إختلاف أمكنتهم وألسنتهم وأزمانهم وقومياتهم يتعبدون بتلاوته لما أودع فيه من إعجاز باهر ولما تضمنه من أسرار الهداية ولما اشتمل عليه من حقد وعدل .

ولاينكر نسبته إلى النبى (ص) وثبوته عنه وتلقيه وحيه عن ربه من كان عنده عقل سليم ونظر سديد بعد علمه بصدق روايته وتبليغه ولاينكر ثبوته وتنزيله من قبل الله تعالى من لديه أدنى إنصاف يعجبه بمعنى النظر والتدبر والتأمل فى بديع آياته وأسرار اعجازه ويتلخص ماقلناه عن هذا الكتاب المجيد ومايقوله كل كتاب عنه فى حقائق ثلاثة .

* **الحقيقة الأولي** : أنه ثبت الوحى به عن الله تعالى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالعقل والنقل، أما العقل : فما إشتمل عليه من وجوه الإعجاز يجعلنا نجزم بأنه لايستطيع تأليفه بشر وإنما هو من تنزيل خالق القوى والقدر ، والعقول الإنسانية مهما تكاتفت وتوحدت لاتستطيع الإتيان ولو بمثل أقل سورة منه حتى ولو إنضمت إليها عقول الجن مهما تعاقبت العصور وتوالت الدهور .

- أما النقل فقد ثبت بالتواتر القطعي جيلاً عن جيل حتى يصل السند المتواتر إلى النبى (ص) وثبت كذلك فى آيات القرآن نفسه أنه من عند الله وليس من كلام محمد صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت ذلك بالدليل النقلى القطعى المتواتر الذى لايرقى إليه شك .

* **الحقيقة الثانية** : أن القرآن هو آخر الكتب السماوية نزولاً على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم وثبت ذلك بالدليل النقلى القطعى المتواتر الذى لايرقى إليه شك .

* **الحقيقة الثالثة** : أن القرأن محفوظ - بحفظ الله - من كل تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقص - ومصان عن أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه حتى يرث الله الأرض ومن عليها وتلك الحقائق الثلاثة عن ذلك الكتاب الخالد لاينكرها إلا كافر لأنه منكر لكلام الله مكذب لرسوله ويجب أن نصدق بكل وارد منه جملة وتفصيلاً لأنه سبحانه منزه عن إثبات شئ من كلامه لايكون حقاً ويجب تصديقنا بكل ما أخبرنا به الكتاب الحكيم من كتب سماوية بحيث لاتزيل على ما أثبته

القرآن ولاتنقص عنه وهذه الكتب هى :

التوراة - التى نزلت على موسى .

الزبور - الذى نزل على داود .

الإنجيل - الذى نزل على عيسى .

ونؤمن كذلك بالصحف التى نزلت على أدم - وشيت وإدريس - وإبراهيم ويبلغ عدد تلك الصحف مائة صحيفة .

أورد أبو إدريس الخولانى عن أبى زر الغفارى قال : (قلت يارسول الله . كم كتاباً أنزل الله تعالي ؟ قال مائة صحيفة وأربعة كتب - أنزل الله على أدم عشر صحائف - وعلى شيت خمسين صحيفة - وعلى إدريس ثلاثين صحيفة - وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان) .

## (مقارنة بين مزايا القرآن وتحريف غيره)

من المعلوم أن القرآن الكريم أخبر أن كل رسول أرسل وكل كتاب أنزل قد جاء مصدقاً ومؤكداً لما قبله فالإنجيل مؤيد لما فى التوراة، والقرآن مؤيد لما فى التوراة والإنجيل ولكل ماتقدمه من كتب وصحف ثبت بالنقل الصحيح . قال تعالى (وقفينا على أثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين...) (١) .

---

(١) سورة المائدة ٤٦ .

وقد يسأل سائل أليست هذه الكتب الإلهية يجدد المتأخر منها المتقدم أو يذكر به فهل أصول الديانات وأحكامها واحدة لاتتبدل ولاتتغير ؟

وجواباً عن ذلك نقول ليس الأمر كما تتصوره أيها السائل فإن الأحكام تتغير من شريعة إلى أخرى . أما أصول الدين العامة التي هى واحدة فى كل الرسالات فلا تتغير ولاتتبدل بل تبقى موحدة فى كل الرسالات من لدن آدم إلى قيام الساعة مثل الإيمان بالله ورسالاته واليوم الآخر ومايعقبه من ثواب وعقاب والدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات مصداقاً لقوه تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ...) [١] .

يقول صاحب الظلال[٢] تعليقاً على هذا النص الكريم : أنه إشارة إلى حقيقة الأصل الواحد والنشأة الضاربة فى أصول الزمان ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع فى حس المؤمن وهو ينظر إلى سلفه فى الطريق الممتدة من بعيد . فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام - نوح. إبراهيم . موسى . عيسى ، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ويشعر أنهم امتداد لهؤلاء الكرام وأنه على دربهم يسير . إنه يستروح السير فى الطريق مهما يجد فيه من شوك ونصب ، وحرمان من أغراض كثيرة . وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله . الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ . ثم إنه السلام العميق

---

(١) الشورى آية ١٣ .

(٢) ظلال القرآن - سيد قطب حـ٣٦ صـ٣١٤٧

بين المؤمنين بدين الله الواحد، السائرين على شرعه لشابت وانتفاء الخلاف والشقاق ، والشعور بالقربى الوثيقه التى تدعو إلى التعاون والتفاهم، ووصل الحاضر بالماضى، والماضى بالحاضر، والسير جملة فى الطريق .

وإذا كان الذى شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد هو ماوصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى مع أتباع محمد ؟

وفيم يتقاتل من يزعمون أنهم على ملة إبراهيم من المشركين مع المسلمين ولم لاينضم الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التى يحملها رسولهم الأخير ؟ والوصية الواحدة الصادرة للجميع أ. هـ .

وإذا نظرنا إلى أحكام الإنجيل نجد أنها مغيرة لبعض أحكام التوراة حيث أعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم. والقرآن الكريم باعتباره آخر الكتب السماوية جاء تأكيداً للجانب العقائدى وتذكيراً بأصول الدين العامة التى وردت فى كل الرسالات أما الجانب التشريعى والعملى فقد بدله أو قرره على حسب متطلبات العصر وتطوراته التى تلائم كل البيئات فى كل زمان ومكان قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيماً) (١) .

وسبب نزول هذه الآية ماذكره الواحدى (٢) : أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمه بن أبيرق أحد بنى ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له قتادة ابن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه

---

(١) سورة النساء أية ١٠٥ .

(٢) أسباب النزول للواحدى صـ١٣٥ - روح المعانى للألوسى حـ٥ صـ١٣٨ - صـ١٤٠ احياء التراث العربى بيروت .

دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرقة الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمير فالتمست الدرع عند طعمه فلم توجد عنده وحلف لهم والله ماأخذها وماله به من علم فقال أصحاب الدرع بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودى فأخذوه فقال دفعها إلى طعمه بن أبيرق وشهد له أناس من اليهود على ذلك ، فقالت بنو ظفر وهو قوم طعمه إنطلقوا بنا إلى رسول الله (ص) فكلموه فى ذلك . فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وإفتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله (ص) أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودى حتى أنزل الله تعالى الآية .

والمعنى : إنا أنزلنا إليك يارسول الله هذا الكتاب المتصف بالصدق والعدل لتحكم بين الناس بما علمك الله فى هذا الكتاب .

والتعبير يوحى بالقوة والحزم والانتصار لتطبيق هذا الحق وتنفيذ العدل . ثم يتبع ذلك بالنهى عن أن يكون خصيماً للخائنين يدافع عنهم .

**قال الألوسى:**[1]

وفى تأكيد الحكم إيذان بالاعتناء بشأنه كما أن فى إسناد الإنزال إلى ضمير العظمة تعظيماً لأمر المسند. وتقديم المفعول الغير صريح للاهتمام والتشويق ، وقوله سبحانه : (بالحق) فى موضع الحال أى إنا أنزلنا إليك القرأن متلبساً بالحق (لتحكم بين الناس) و(ما) موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الأول - لأرى - وهى من

---

(١) روح المعانى للألوسى حـ٥ ص١٣٨ : صـ١٤٠ ط احياء التراث العربى - بيروت .

رأى بمعنى عرف المتعديه لواحد وقد تعدت لاثنين بالهمزة، وقيل أنها من الرأى فى قولهم (ولاتكن للخائنين) وهم بن إبريق أو طعمه ومن يعينه، أو هو ومن يسير بسيرته ، واللام للتعليل وقيل : بمعنى عن أن لاتكن لأجلهم أو عنهم (خصيماً) أي مخاصماً والنهى معطوف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأن قيل إنا أنزلنا إليك الكتاب فاحكم به .

وقال تعالى :

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) (١) .

من هذا النص السابق للقرآن الكريم وعلاقته بالكتب السماوية السابقة ندرك أنه قد جاء مصدقاً لما بين يديه من كتب ومهيمناً عليها واختلف في معنى : الهيمنة فذهب البعض إلى أن معناها أمانه القرآن على الكتب السماوية السابقة وذكر فى معنى الهيمنة كذلك التصديق والإخبار عنها وعما جاء فيها من صدق أو تحريف فما أخبر به القرآن فهو الحق الذى لامراء فيه وما أخبره به أهل الكتب عن كتبهم . فإن كان فى القرآن مايؤيده فقد صدقوا وإن لم يكن فيه مايخبرون به فقد كذبوا وقيل مهيمناً رقيباً حفيظاً فهو رقيب علي سائرالكتب لأنه يشهد لها بالصحة والبيان .

ومن هنا نتبين أن مهمة القرآن تتلخص فى نفى الزوائد عن الكتب السابقة وتحدى من يدعى وجودها فى تلك الكتب. وإزاحة

---

(١) سورة المائدة أية ٤٨ .

ستار الأكاذيب التى دسها أهل الكتاب فى كتبهم وإظهار الحقيقة ناصعة وضاءة الجبين واضحة المحيا، صادقة لالبس فيها ولاإلتواء ولاغش ولاخداع. ومن هنا ورد قوله تعالي (كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة. قل فأتوا بالتوراة واتلوها إن كنتم صادقين[١].

جاء فى سبب نزولها [٢] مارواه الواحدى عن الكلبى أن الأية نزلت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم: أنا على ملة إبراهيم فقالت اليهود كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال النبى (ص) كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نحله فقالت اليهود كل شئ أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأنزل الله عز وجل تكذيباً لهم. "كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل" فنزلت.

قال الألوسى [٣]: الطعام بمعني المطعوم، ويراد به هنا المطعومات مطلقاً أو المأكولات وهو لكونه مصدراً منعوتاً به معني يستوى فيه الواحد المذكر وغيره وهو الأصل المطرد فلا ينافيه قول الرضى: إنه يقال رجل عدل ورجلان عدلان لأنه رعاية لجانب المعنى، وذكر بعضهم أن هذا التأويل يجعل كلا للتأكيد لأن الاستغراق فى شأن الجمع المعرف باللام والحل مصدراً أيضاً أريد منه حلالاً، والإخبار عن كل الطعام بكونه حلالاً لالنفس الطعام لأن الحل كان كالحرمة مما لايتعلق بالذوات ولايقدر نحو

---

(١) سورة آل عمران (آية (٩٣).

(٢) أسباب النزول للواحدى صـ٨٥ ط الثقافة الدينية القاهرة.

(٣) الحديث بمسند الإمام أحمد حـ١ ص٢٧٣ و ص٢٧٨.

الإنفاق وإن صح أن يكون متعلق الحل وربما توهم بقرينة ماقبله لأنه خلاف الفرض المسوق له الكلام .

و(إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وعن أبى مجلز أن ملكاً سماه بذلك بعد أن صرعه وضرب على فخذه (إلا ماحرم إسرائيل على نفسه) قال مجاهد : حرم لحوم الأنعام، وروى عكرمة عن ابن عباس أنه حرم ذائدت الكبد والكليتين والشحم إلا ماكان على الظهر ، وعن عطاء أنه حرم لحوم الإبل وألبانها وسبب تحريم ذلك كما فى الحديث الذى أخرجه الحاكم وغيره[1] بسند صحيح عن ابن عباس أنه غليه الصلاة والسلام، كان به عرق النسا فنذر إن شفى لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحب إليه ، وفى رواية سعيد بن جبير عنه أنه كان بعد ذلك الداء تأكل من لحوم الإبل نبات بليله يزقو فحلف أن لايأكله أبداً، وقيل: حرمه على نفسه تعبداً وسأل الله تعالي أن يجيز له فحرم سبحانه على ولده ذلك نسب هذا إلى الحسن ، وقيل. إنه حرمه وكف نفسه عنه كما يحرم كما يحرم المستظهر فى دينه من الزهاد اللذائذ على نفسه .

وذهب كثير إلي أن التحريم كان بنص ورد عليه ، وقال بعض كان ذلك عن اجتهاد ويؤيده ظاهر النظم وبه استدل على جوازه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والاستثناء متصل لأن المراد على كل تقدير أنه حرمه على نفسه وعلي أولاده وقيل منقطع، والتقدير ولكن حرم إسرائيل على نفسه خاصة ولم يحرمه عليهم وصحح الأول (من قبل أن تنزل التوراة) الظاهر أنه متعلق بقوله تعالي (كان حلاً) ولايضر الفصل بالاستثناء إذ هو فصل جائز وذلك على مذهب الكسائى . وأبى الحسن فى جواز أن يعمل ماقبل إلا فيما بعدها إذا

---

(١) الحديث بمسند الإمام أحمد حـ١ صـ٢٧٣ وص٢٧٨ .

كان ظرفاً أو جاراً أو مجروراً أو حالاً، وقيل : متعلق بحرم وتعقبه أبو حيان بأنه بعيد إذ هو من الإخبار بالواضح المعلوم ضرورة لافائدة فيه، واعتذر عنه بأن فائدة ذلك بيان أن التحريم مقدم عليها وأن التوراة مشتملة على محرمات أخر حدثت عليهم حرجاً وتضييقاً، واختار بعضهم أنه متعلق بمحذوف والتقدير (كان حلاً) .

(من قبل أن تنزل التوراة) الجملة واقعة فى جواب سؤال نشأ فى سابق المستثنى كأنه قيل بمعنى كان حلاً ؟ فأجيب به والذى دعاه إلى ذلك عدم ظهور فائدة تقييد التحريم ولزوم قصر الصفة قبل تمامها علي تقدير جعله للحل. ولايخفى مافيه، والمعنى على الظاهر أن كل الطعام ماعدا المستثنى كان حلالاً لبنى إسرائيل قبل نزول التوراة مشتملة على تحريم ماحرم الله عليهم لظلمهم ، وفى ذلك رد لليهود فى دعواهم البراءة فيما نعى عليهم قوله تعالي : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم) وقوله سبحانه (وعلى الذين هادوا حرمنا) الآيتين ، وتبكيت لهم فى منع النسخ ضرورة أن تحريم ماكان حلالاً لايكون إلا به ودفع الطعن فى دعوى الرسول (ص) موافقته لأبيه إبراهيم عليه السلام علي مادل عليه سبب النزول .

وذهب السدى إلى أنه لم يحرم عليهم عند نزول التوراة إلا ماكان يحرمونه قبل نزولها إقتداء بأبيهم يعقوب عليه السلام .

وقال الكلبى : لم يحرم سبحانه عليهم ماحرم فى التوراة ، وإنما حرمه بعدها بظلمهم وكفرهم . فقد كانت بنو إسرائيل إذا أصابت ذنباً عظيماً حرم الله تعالى عليهم طعاماً طيباً وصب عليهم رجزاً .

وعن الضحاك أنه لم يحرم الله تعالى عليهم شيئاً من ذلك فى التوراة ولابعدها ، وإنما هو شئ حرموه على أنفسهم إتباعاً لأبيهم وإضافة تحريمه إلى الله تعالي مجاز وهذا فى غاية البعد «قل فأتوا

بالتوراة فأتلوها » أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يحجهم بكتابهم الناطق بصحة مايقول في أمر التحليل والتحريم وإظهار إسم التوراة لكون الجملة كلاماً مع اليهود منقطعاً عما قبله وقوله تعالي : (إن كنتم صادقين) أى فى دعواكم شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها .

روى أنهم لم يجسروا على الإتيان بها فبهتوا والقموا حجراً وفى ذلك دليل ظاهر على صحة نبوه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم إذا علم بأن مافى التوراة يدل على كذبهم . وهو لم يقرأها ولاغيرها من زبر الأولين ومثله لايكون .

وكذلك كانت مهمته بيان ماكتمه أولئك الخبثاء الماكرون من حقائق لاينبغى كتمانها .

(ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ..) [١] .

وجملة القول . أن علاقة القرأن الكريم بالكتب السماوية فى حالتها الأولى هى تصديق وتأييد كلى وإن علاقته بها فى حالتها الثانية علاقة تصديق لما بقى منها على أصله وتصحيح لما طرأ عليها من تحريف وتبديل. [٢] .

وماجاء به القرأن من حقائق دينية قد صرح بأنها مما أنزله الله في كتب الأولين ويشهد لذلك قوله تعالي (وأنه لتنزيل رب العالمين

---

(١) سورة المائدة آية ١٥ .

(٢) راجع الإسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير للدكتور رمزى نعناعه الطبعة الأولي ص٢٦ - ٣٠ .

نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين - بلسان عربى مبين. وإنه لفى زبر الأولين) (١) .

ومن تلك الأيات نعلم أن فيها ماسبق تنزيله فى كتب الأولين ولقد حكى الله لنا وصايا لقمان لابنه وضمن هذه الوصايا مايفيد أنها وصايا ربانية إقتبسها لقمان مما أنزله الله فى الكتب الأولى وساقها القرآن الكريم مساق وصايا مقدسة واجبة التنفيذ جديرة بالإقناع خليقة بالاقتداء بها ونستطيع من خلال تلك الوصايا أن نفهم أنها مما وردت حتماً فى كتب الأولين .

قال تعالي :

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشكر بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة، وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر علي ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور ولاتصعّر خدك للناس ولاتمشى فى الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك وإغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ...) (٢) .

وقد أجمعت الكتب السماوية على أمور منها :

---

(١) سورة الشعراء أية ١٩٦ .

(٢) سورة لقمان من آية ١٣ - ١٩ .

أ - الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة .

ب - الحث على الجهاد بالنفس والمال .

جـ - التنويه بأصحاب محمد وذكر طائفة من صفاتهم .

إن للقرآن الكريم مميزات عديدة تميز بها عما سبقه من كتب وصحف تلك المزايا عظيمة الشأن قوية التأثير فيها جاذبية الصدق وسهولة المعنى مع بساطة الأسلوب وقد بلغ من التأثير فى قلوب سامعيه ونفس قارئيه مبلغاً عظيماً حتى ولو كانوا لايجيدون اللغة العربية لأنه كلام معجز ليس من صنع بشر بل هو تنزيل من عند خالق القوى والقدر ولو أردنا إحصاء مزاياه التى إختصه الله بها فى إعجازه اللغوى والتشريعى والعلمى مع شموله وإتساعه لأصول الأشياء فى الحياة كلها لما وسعنا ذلك لكننا نأخذ من ذلك الخضم الزاخر والبحر المحيط بأطراف قليلة تناسب ذلك الموضوع الذى تعرضنا له فى بحثنا هذا بحيث تكون ملائمة له ومناسبة لإيجازه فنقول :

أولاً : سهولة حفظه وفهمه وقراءته حيث لم يحفظ من الكتب السماوية السابقة كتاب منها عن ظهر قلب إلا القرآن الكريم الذى ميزه الله بتلك الميزة العظيمة .

وقال مصداقاً لذلك :

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (١) .

فالقرآن ميسر فى حفظه وفهمه ميسر فى سهولة لفظه ومعناه لمن أراد تذكير الناس به .

---

(١) القمر آية ١٧ .

قال تعالى :

(فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا)

قال مجاهد : (ولقد يسرنا القرآن للذكر) هونا قراءته وقال السدى : يسرنا تلاوته على الألسن، وقال بن عباس. لولا أن الله يسره على لسان الأدميين لما إستطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل وقوله (فهل من مدكر) فهل من متذكر ومعتبر ومتعظ بهذا القرأن الذى يسر الله حفظه ومعناه .

قال القرطبى : فهل من منزجر عن المعاصى ، وروى ابن أبى حاتم عن مطر الوراق فى قوله (فهل من مدكر) [١] هل من طالب علم فيعان عليه .

- وأقول لقد يسر الله عز وجل على الصغار حفظه فى أقرب فترة زمنية ويوجد فى أمة القرأن فى كل زمان مايربو على مئات الألوف من الحفاظ وهذا فضل كبير قد حبا الله به أمة القرآن وأكرم به الأمة المحمدية .

**ثانياً** : أنه كلما كررت تلاوته وتردد على الألسنة كلما ازداد عذوبة وحلاوه فلا يسأم منه قارئ ولايمل سامعه ومانشاهده بأعيننا ونلمسه بحواسنا أنه كلما كرر كان أكثر جاذبية للقلوب والعقول . بخلاف مانلمسه ونشعر به من تلاوة الكتب الأخرى فإنه مهما بلغ من البلاغة ، وبلغ قائلها من البراعة فى الأسلوب فإن تكرارها يولد الملل وسأمه النفس .

**ثالثاً** : لقد ضمن الحق تبارك وتعالى حفظه من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان وأخبر بذلك حيث قال .

---

(١) راجع مختصر تفسير ابن كثير لمحمد على الصابونى جـ٣ صـ٤١٠ ط دار القرأن - بيروت .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون..) [١] .

وقد تحقق أخبار الله سبحانه وتعالى بهذه الآية وبما جاء فى نظيرها كذلك من قوله جلت قدرته (بل هو قرأن مجيد فى لوح محفوظ) [٢] فلم يستطع أحد من أعداء القرآن شرقاً وغرباً أن يغير حرفاً من حروفه أو كلمة من كلماته وجميع محاولاتهم تبوء بالفشل فيفصح الله صنعهم وقد مضى على وقت نزوله ألف وأربعمائة سنة أو يزيد وإنه لباق كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله تعالى ومشيئته لأنه لايخلف وعده وجميع أخباره صدق وحق لايتخلف وعد من وعوده .

ونحن إذا تأملنا كتب اليهود والنصارى لوجدنا أنها لم تؤخذ إلا عن صحف وجدت بأيدى أهل الكتاب بخلاف ماعليه القرأن الكريم حيث تلقيه طبقة عن أخرى تواتراً، قرناً بعد أخر من عهد نزوله إلى وقتنا هذا ولم يقع إختلاف فى حرف أو كلمة بين اللاحقين والسابقين اللهم إلا ماورد من القراءات السبع الواردة بالإسناد الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذلك لايعد إختلافاً وإنما هو أمر توقيعى من الله عز وجل. وإنما كان ذلك تيسيراً على الأمة، وجميعها من الأحرف السبعة الثابتة فى العرضه الأخيرة. فلم تحظ كتبهم السماوية بإسناد بل كتبت صحفهم بعد وفاة رسلهم الذين تلقوها أساساً عن الله لكنها فقدت وظلت زماناً بعدهم حتى كتبت مخلوطة بغيرها من كلام البشر ولم يعرف المنزل من غيره ولم يوجد تمييز بين مانزل من التوراة والإنجيل وبين ماألحقوه بكتبهم من الأخبار التى

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢) البروج أية ٢٢ .

أخذوها من غير الثقات ولم توجد أمة من الأمم مثل الأمة المحمدية فى حفظها لأثار الرسل بخلاف غيرها من الأمم فليس لديهم تلك الميزة، وعلماء الأمة الإسلامية دائماً وفى غالب الأحيان يميزون الصحيح من السقيم والغث من الثمين .

أما غيرهم فكان حاطب ليل لايميز بين صادق وكاذب وإننا لنلاحظ أن التناقض والاختلاف هما السمة الغالبة فى كتب اليهود والنصارى الأمر الذى يدعونا إلى الجزم بأن ذلك دليل على التحريف الذى فعلوه فى كتبهم وسبب ذلك هو أن هذه الكتب لم تنقل إلا عن الصحف التى كانت بيد أحبار بعض اليهود ولنصارى كذلك لم تنقل عن طريق التواتر الذى ينفى عنها وصمة تلك التهمة الثابتة فيهم يقيناً ألا وهى التغيير والتبديل من تلقاء أنفسهم وعلى حسب أغراضهم وأهوائهم أما القرأن الكريم فهو عين رسالة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ومعجزاته الباقية الخالدة على مر الزمان وذلك أمر يعترف به الموافق والمخالف. والقول بغير ذلك قدح فى الأمور الضرورية اليقينية .

وقد ثبت كتابته فى عهده صلى الله عليه وسلم وحفظ الصحابة له فى حياته عليه السلام وبعد لحاقه بالرفيق الأعلى ، صحيح أن القرأن كان مكتوباً فى الصحف المكونة من العظام واللخاق وغيرها . لكنه لم يجمع فى عهده (ص) فى مصحف واحد . إلا أنه تبارك وتعالي ألهم أبا بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله .ص) بجمعه وتدوينه فى مصحف واحد وكان ذلك هو الجمع الأول بإشارة من عمر وقبول من أبى بكر الصديق وزيد بن ثابت ثم تبعه الجمع الثانى فى عهد الخليفة عثمان وكان الباعث على الجمع الأول خوف الصحابة على القرآن من أن يضيع منه شئ فجمعوه بالأحرف السبعة التي نزل

بهاوكان الباعث على الجمع الثانى فى عهد عثمان إختلاف القراء فى كثير من المواطن الإسلامية ، وتضعيف البعض منهم لقراءة البعض الآخر فجمعه عثمان بإشاره من حذيفة بن اليمامه وإقتصر فيه على حرف واحد وهو حرف قريش وحذف الأحرف الستة الأخرى وظل بذلك الحرف إلى يومنا هذا فالقرآن الكريم نقل متواتراً عن النبى صلى الله عليه سلم ولم يتطرق الشك إلى حرف واحد منه أنه ثبت بخبر الأحاد وقد هيأ الله له من أسباب الحفظ الذى تكفل به فلم يختلط بغيره وقام بتدوينه ونقله وحفظه وتفسيره علماء ثقات أمناء على تلك الرسالة الجليلة .

وخلاصة القول أن كتب اليهود والنصارى وماعندهم من العلم قد اختلط فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب فلا يقبل منها إلا ماوافق الحق الذى بأيدينا فما وافقه فهو حق وعلينا قبوله وماخالفه فهو باطل وعلينا رده (والذى يعنينا فى ذلك المقام هو إثبات نقطتين هامتين هما :

(١) بيان أنه لامجال لأهل الكتاب الإدعاء بأن كتبهم كتبت بالإلهام .

(٢) إثبات التحريف لكتبهم .

وسوف نتناولها بالدليل القاطع والبرهان الساطع فتقرر بالنسبة للنقطة الأولى أنه لامجال لأهل الكتاب الادعاء بأن كتب العهد القديم والجديد كتبت بالإلهام لأنه إدعاء باطل ويدلنا على بطلانه وجوه عديدة .

كما يقول الشيخ رحمه الله الهندى[١] فى كتابه إظهار الحق منها :

**أولاً** : وجود الاختلافات المعنوية الكثيرة فيها الأمر الذى أضطر بعض المحققين لهذه الكتب إلى الاعتراف بأن إحدى العبارتين أو العبارات صادقة وغيرها كاذبة إما بسبب التحريف المقصود أو بسبب سهو الكاتب .

**ثانياً** : وجود الأغلاط الكثيرة فيها والكلام الإلهامى الذى يبعد بمراحل عن وقوع الغلط والاختلاف المعنوى .

**ثالثاً** : وقوع التحريفات القصدية فى مواضع غير محصورة بحيث لامجال للمسيحيين أن ينكروها والظاهر أن هذه المواضع المحرفة ليست بإلهام عندهم يقيناً .

**رابعاً** : قولهم ليس بضرورى أن يكون كل ماكتبه النبى إلهامياً أو قانونياً ولايلزم من كون بعض كتب سليمان إلهامياً أن يكون كل ماكتبه إلهامياً. وليعلم أن الأنبياء والحواريين كانوا يلهمون بالمطالب الخاصة. والمناسبات الخاصة .

**خامساً** : هناك كتاب (دائرة المعارف البريطانية) الذى اتفق على تأليفه الكثير من علماء إنجلترا فقالوا فى بيان الإلهام (قد وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة هل هو إلهامى أم لا؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها فقال جيروم وكرتيس وبركوليس والكثيرون الآخرون من العلماء أنه ليس كل قول منها إلهامياً .

---

(١) انظر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمه الله الهندى حـ١ صـ٢٧٣ - صـ٢٧٨ طبعة عام ١٤٥ هـ .

أما النقطة الثانية وهى : إثبات التحريف فى كتب العهد القديم والجديد فنذكر أن التحريف فى كتب أهل الكتاب على قسمين لفظى ومعنوى ولانزاع بيننا وبين المسيحيين فى التحريف المعنوى لأنهم يسلمون جميعاً بوقوعه وصدوره من اليهود فى العهد القديم فى تفسير الآيات التى هى إشارة فى زعمهم إلى المسيح وفى تفسير الأحكام التى هى أبوية عند اليهود والتحريف اللفظى وقع فى كتبهم بأشكاله الثلاثة وهى: تبديل الألفاظ وزيادتها، ونقصانها وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه المذكور مائة شاهد على تلك الأنواع الثلاثة من التحريف وسنكتفى بخمسة شواهد لكل نوع .

من سوابق التحريف اللفظى بالتبديل مايأتي :

أولاً : وقع فى الآية الثامنة من الباب الخامس عشر من سفر صموائيل الثانى لفظ أرم ولاشك أنه غلط والصح لفظ أروم وأدم كلارك المفسر حكم أولاً بأنه غلط يقيناً ثم قال الأغلب أنه غلط من الكاتب .

ثانياً : وقع الأية السابقة من الباب المذكور سابقاً (أن أبا سالوم قال للسلطان بعد أربعين سنة) ولفظ الأربعين غلط يقيناً والصحيح لفظ الأربع . وقال أدم كلارك المفسر (لاشبهة إن هذه العبارة محرفة) ثم قال أكثر العلماء أن الأربعين وضع موضع الأربع من غلط الكاتب .

ثالثاً : قال أدم كلارك فى تفسيره للاية الثانية . من الباب الرابع والستين من كتاب أشعياء - (المنن العبرانى محرف كثيراً هنا . والصحيح أن يكون هكذا كما أن الشمع يذوب من النار) .

رابعاً : فى الآية الثامنة من الباب الحادى والعشرين من كتاب الخروج فى المنن للعبرانى الأصل فى مسألة الجارية وقع النفى وفى عبارة الحاشية وقع الإثبات .

**خامساً :** فى الآية الحادية والعشرين من الباب الحادى عشر من كتاب الأخبار فى حكم الطيور التى تمشى على الأرض فى المنن للعبرانى وجد النفى وفى عبارة الحاشية وجد الإثبات[١] .

وبعد انتهائنا من ذلك المبحث الهام نسأله تعالي أن يجعله محققاً للغاية المنشودة للهدف الأسمى ألا وهو توخى الصدق وتحرى الحقيقة وإعتناق الحق والدعوة إليه والدفاع عنه بيقين راسخ وعزم أكيد فى نصر الله الذى لايتخلف لمن يدفاع عن الحق بعد الاهتداء إليه عملاً بقوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره...)[٢] .

والجدير بالذكر أن الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فى القرآن الكريم تلك الوثيقة البعيدة عن التحريف المحفوظة بحفظ الله إلى قيام الساعة ذلك الكتاب المهيمن على ماسبقه من كتب وقد جاء بعدها ليحفظ رسالتها ويصحح مسارها ويجلوا الصدأ عنها ويعيد بريقها ويدفع عنها صدأ الباطل وزيف التمويه وخداع التغيير للحقائق الدينية التى لاتختلف من رسالة إلى أخرى وسيبقى مابقيت الدنيا دستوراً لجميع الشرائع وسيلجأ لميع الديانات السماوية الحقة ودليلاً لجميع الأحكام التى صدرت عن الحق تبارك وتعالى ومن ذلك المبحث نوجه رسالة إلى كل الأمة الإسلامية ونصيحة صادقة إلى جميع المسلمين فى جميع أرجاء المعمورة أن يحرص كل مسلم علي ذلك الكتاب باستمرار تلاوته ودوام حفظه وفهمه والتعرف علي أحكامه والعمل بمقتضاه ودعوة غير المسلمين إلى الاقتناع بمبادئ العدل والحرية والحق والمساواة وجميع القيم التى صدرت عنه فلا كتاب بعد القرآن ولادين إلا الإسلام .

---

(١) نفس المرجع السابق صـ٣٥١ - صـ٣٦٣ .

(٢) سورة الحج آية ٤٠ .

(ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ..) (١)

إن الإسلام جاء ليبقى على مر العصور ديناً صالحاً لكل زمان ومكان ولكتابه الخالد علاجاً نافع من جميع الأمراض لكل البشرية على اختلاف بيئاتها وأجناسها وألوانها ولشعوبها وأفرادها فلتحرص جميع أمم الأرض على تدبر هذا الكتاب المبين والاهتداء بهديه والأخذ من معينه الذى لا ينضب حتى تخرج من وهدتها وتفيق من سباتها وتستيقظ من رقادها وتنظر بعين مفتوحة إلى غد مشرق مليئ بالأمل والعمل .

قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٢) .

---

(١) آل عمران أية رقم ٨٥ .

(٢) سورة المائدة أية (٣) .